613
613

ثورة أبي يزيد

جهاد لإعلاء كلمة الله

تأليف

الشيخ سليمان بن الحاج داود بن يوسف
بحاثة في التاريخ

العطف (الجزائر) ربيع الثاني 1399 هـ/مارس 1979 م

الطبعة الأولى

1402 هـ ـ 1981 م

دار الأمة
للطباعة والنشر
قسنطينة (الجزائر)

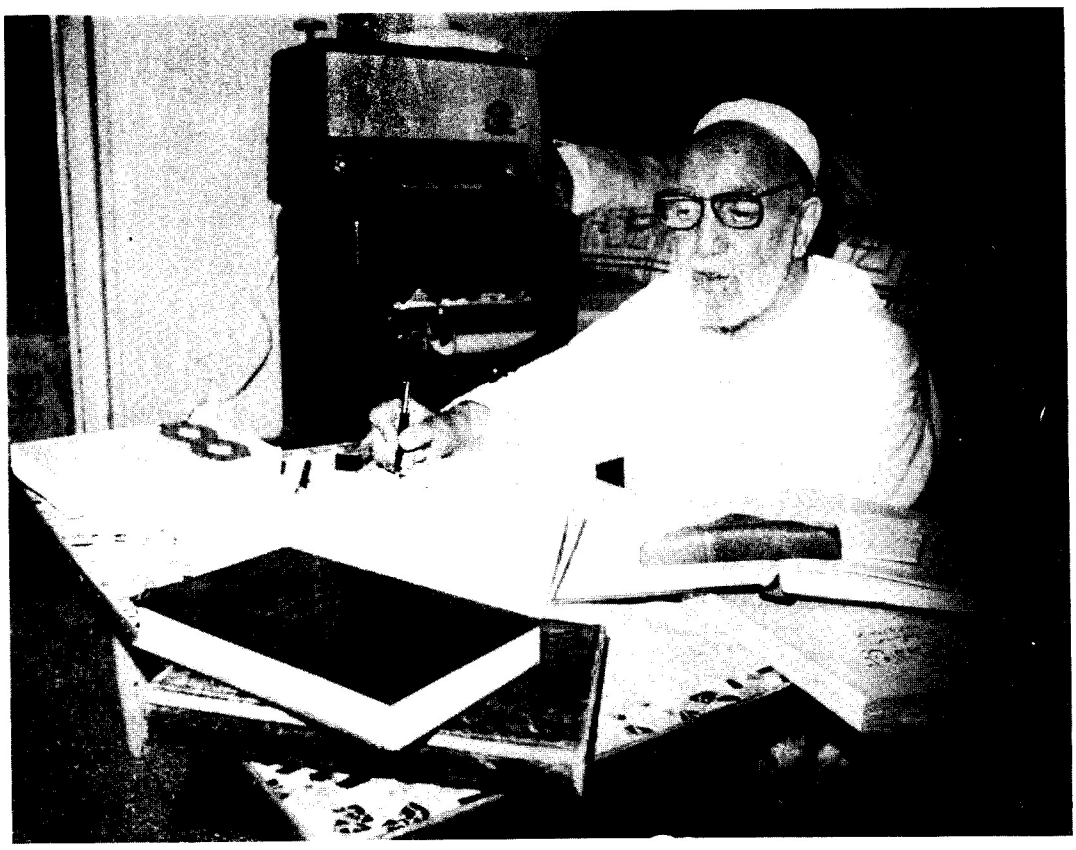

الاستـاذ المؤلـف فى مكتبـه

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــــة

للـدكتور عمـر خليفـة نـامى

بسم اللـه الرحمن الـرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم ،

لقد ترددت كثيرا قبـل كتابة هذه الاسطـر التى شرفنى العلامة المجاهد الشيخ سليمان بـن الحاج داوود بن يـوسف بكتابتـها ...

أولا : لان تصدير كلام الشيخ أمر لا يقوم له مثلى ، من حيث عظم مقامه فى نفســه ، لتقدمه وحـداثتى ، وتبحـره وضئالتى ، واذا كان لمثلى أن يأخذ هذا المكان فلشىء واحـد فقط ، وهو أداء واجب الوفاء من جيل لا حق للجيل السابق ، وفاء الابناء للآباء ، وأن يسجل الجيل الجديد لجيـل السلـف واسع كرمه ، وصدق ثباته ، ونبل جهاده ، وعظيم قـدره ، وجليل دوره فى تمام القيام على حفظ الامانة وحسن تأديتها ، والحدب الكامل على مصالح الامة وأبنائها والاخذ بأيديهم الى مصاف المجد والمكانة اللائقة فى التاريخ ...

فالشيخ سليمان بن الحاج داوود بن يوسف ـ حفظه الله ـ بالاضافة الى مكانه المرموق كباحث ومحاضر فى التاريخ الاسلامى ، أفنى جل عمره المبارك فى التنقيب على آثاره والبحث فى زواياه وخباياه ، وتحقيق عوامضه ومشكلاته ، وتصحيح ملامحه وهذا البحث صورة من ذلك ، فانه بالاضافة الى ما تقدم ، مجاهد دؤوب ، أفنى عظم أيامه فى عمل دائب متصل مداره ـ الاصلاح ـ فى دائرة العمل الاسلامى بمعنى ترسيخ قيم الاسلام ومثله ، وبعث روحه ، وتجديد شبابه بالالتزام به سلوكا وعملا ، والدعوة اليه فكرا وعقيدة فى فترة كان العدو الصليبى الحاقد قد بلغ ذروة التحجج والاستبداد حين أراد أن يسلخ بلاد الاسلام عن الاسلام ، ولسان العربية عن أهله ، وأن يجعل الامة الاسلامية من بعد مسخا مشوها ينسى مجد أجداده ، ويقصتر عن أسياده ...

فكان شيخنا الكريم ضمن الرعيل الاول الذى انتدب للقيام بواجبه فى بعث حركة التجديد الاسلامى فى الجزائر ، فكان فى صدارة جمعية العلماء ونجما من نجومها وقائدا من قادتها الغر الميامين ..

وكان كذلك ، وفى ضمن هذا الاطار ، أحد أركان الاصلاح الاسلامى فى وادى ميزاب وأحد عمده الراسخة الثابتة . مع مساهمة متصلة فى ميدان الكفاح السياسى ثم فى الجهاد من أجل التحرير ... وقد حمل عمره المبارك من كل ذلك ما ينوء به الكثير ممن لم تتوفر له ما توفر للشيخ الفاضل من صدق العقيدة ومضاء العزيمة وصدق الجهاد وطول النفس ...

وله الى ذلك دوره فى مجال المال والاعمال ما يضرب المثل العملى للحرص على الاستقلال الاقتصادى شأن المجدين من بنى وطنه ، كل ذلك الى دور رجل الاسرة المسلم المثالى الذى يرى أول واجباته العظمى نحو أمته أن يبنى البيت المسلم الذى تترعرع فيه الذرية الصالحة فتكون هديته الرائعة الى وطنه المتعطش للجند الصالحين ، ويكونون ذخره للثواب المتصل الذى يرجوه .

ويسعدنى أن النقى بك أيها القارىء الكريم وبأستاذنا الفاضل فى صدر رسالته هذه لانوه بقيمة هذا البحث النافع الذى نصدى فيه لعلاج قضيتين تاريخيتين هما ما هما فى خطورتها وأهميتها .

الاولى قضية الدولة العبيدية ، أمر قيامها وانتصارها فى شمال افريقيا وعقائد القائمين بها وتمكنهم من التسلط على هذه الرقعة الكبيرة من الارض ولتلك الفترة من الزمن وهذا أمر يحتاج الى كثير من الدراسات والتحاليل لسبر أغوار حركة التاريخ ومعرفة أبعادها .

ثم هو يعالج ثانيا تاريخ حركة أبى يزيد مخلد بن كيداد ، وهى أظهر حركات المقاومة الجادة التى تحركت بها ربوع الشمال الافريقى لنفى هذا الثقل الدخيل ، وبالرغم من هذا الدور البطولى الرائع الذى انتدب له أبو يزيد ، وبالرغم مما حققه من انتصارات باهرة عصفت بالدولة العبيدية وكادت نقض عليها ، وأكدت لها استحالة استنباب الامر لها فى ديار الشمال الافريقى ، بالرغم من ذلك ؛ فان التاريخ فى أكثر

من وجه لم يحتفظ لابى يزيد بتلك الصورة الناصعة فعرضه فى أطـر قائمة منفرة ، وذلك ما انتدب لـه الشيخ سليمان ليصححه ويوضحه ليكشف أولا أمـر هذه الدولة الدخيلة ، ولينصف هذا الثائر المجاهد الذى قام لازلة هذه الدولة ولتغير ما جلبته من مناكر وما فرضته من الاباطيل ...

بدأ الكاتب دراسته بمقدمة صغيرة عن أبى يزيد ، ثـم قسم بحثه الى شطرين رئيسيين : أما الشطر الاول مـن هذا البحث فهـو يكشف للقارىء عـن حقيقة العبيديين أصلهم وتصوراتهم وأفكارهم وأعمالهم التى جاءت تتحدى مألـوف المسلمين وما توارثوه من عقيدتهم الصحيحة ودينهم القديم وسيرة السلف الطاهرة النقية .

جاء بهذه الدولة عناصر مشبوهة الاصل ، وجاءت بتصورات خالفت عقائد الاسلام ، وسوغت لهذه العقائد الخبيثة بتغيرات بنتها على ما أسمته علم الباطن ! ! ودعاوى نسبتها الى علم الائمة فجملتها كل ما شاءت من الباطل . ثم ما زالوا بباطلهم ذلك حتى حملوه على الامـة وحملوها عليـه بقـوة السيف ومظاهرة الاعوان . وهذه صورة لا يزال التاريخ يكررها ، ولا يزال ينال الامـة مـن مكروهها فى فترات مختلفة مـن التاريخ !!

والتنبه الى جذور هذه الظاهرة وأبعادها وكشف خباياها وأصولها من أساسيات الجهاد الاسلامى ، ومن جلائل أعمال الفكر الاسلامى ... ان التصدى لكشف هذه الافكار الشاذة والضلالات الزائفة ووضعها فى موضعها الصحيح من تاريخنا

من أوجب الواجبات تجاه هذه الامة ، لتصحيح تاريخها أولا ، ولوضع أجيالها على الطريق الصحيح لما يستقبلها من الزمان وحتى لا يتكرر عليها مآسى هذه النماذج الكريهة ...

وقد بذل أستاذنا الفاضل جهده فى اظهار حقائق الدولة العبيدية فى تصوراتها التى تصـادم أساسيات العقـائد الاسلامية وفى وسائلها البشعة فى فرض تلك التصورات على الناس ، فى التنكيل بقيادات الامة ، وقتل العلماء والصالحين مـن دعاة الاسلام الحـق ، ومزاولة صنوف القهـر والبطش للتمهيد لامرهم ..

وقد نال الامـة من شرور تلك الموجة أشد الجهد والبلاء سواء بما نجم من شرور القرامطة وفتنتهم بالمشرق أو مـا اتصل على المغرب الاسلامى مـن شرور العبيديين وفتنتهم ، والحركتان من أصل واحـد ومصدر واحـد .. ولكن اللـه سبحانه وتعالى وقى أمة الاسلام من هذا الشر أولا بما رسخ وثبت من عقيدة الامة مما لا يناله التبديل والتغيير لاستناده الى نصاعة الحق ووضوحه ، والى ما تقرره الاصول الصحيحة الثابتة لهذا الدين القيم كما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وكما بلغه السلف الصالح مما اعتمد على كتاب ناطق وسنة ماضية وسيرة طاهرة نقية . وستظل هذه الاسس درع هذه الامة ضد كل التصورات الباطلة والافكار الضالة التـى يلتمس أصحابها اقحامها عـلى المسلمـين وعقيدتهم الصحيحة .

وثانيا : بتلك الانتفاضة التى تحركت عمليا لتغيير هذا الباطل واجتثات جذوره من الاعماق معتمدة على القيادة الحكمية الجادة والجهاد المتصل الدؤوب والعزيمة المصممة الماضية .. وهو ما بينه الشطر الثانى من هذا البحث القيم فهو تحليل دقيق لحركة الجهاد الرئيسية التى تصدت لتغيير مناكر العبيديين ولتصحيح مسار الامة وتخليصها من تلك الشرور التى استفحلت واستعلنت فى ظل حكمهم ، وقد قاد هذه الحركة أبو يزيد مخلد بن كيداد الاباضى ، واستطاع أن يجمع حوله مشاعر الامة كاملة وأن يوحدها تحت راتبه وأن ينتصر بها للعقيدة الصحيحة ، والسيرة الحميدة والدين القديم وقد جمع أبو يزيد أنصاره من أخراق الامة ومذاهبها لم يتخلف عنه أحد ، وكانت هبة أرجعت للحق هيبته ، وأزعجت الباطل أيما ازعاج .

وقد كادت أن تجتث جذوره ، وهى ان لم تفعل فقد أفهمت أصحاب هذا الضلال أن لا مجال لهم فى هذه الديار من بلاد الاسلام فرحلوا عنها بعد فترة ليقيموا دولتهم فى مصر ، ورحلت معهم عقائدهم وسيرتهم ، وكانت منها فى مصر وديارها أباطيل وأضاليل كان أظهرها ما سجله التاريخ من سيرة الحاكم بأمر الله ، ولكن الحق الذى أذاب باطلهم فى شمال افريقيا أزهق بقية ذلك الباطل فى مصر وغير مصر ، وصار كل ذلك قصصا يرويها التاريخ عبرة وذكرى .

وقد أفادنا أستاذنا فى استقصاء دقيق عن مسار حركة أبى يزيد وجهاده ، وابرز لنا صورا جليلة من البطولة الحقة

والجهاد الصادق ، ثم تجاوز ذلك الى « زبدة » بحثه وغايته فأزاح الكثير من غبار التعصب عن حركة أبى يزيد ، فأزال ما علق بها من دعايات مفرضة أرادت انتقاص هذا الجهاد والتقليل من شأنه فنسبت فيه الى أبى يزيد ما يشين جهاده ويظهره فى مظهر منفر مستهجن ... وقد أفاد وأجاد . ولعمرى ان التاريخ الذى يدقق فى سيرة أبى يزيد بما يلصق به ما يخدش هذه السيرة ويشوهها ليتجاوز لغيره عن الكثير من المعرات فلا يرويها الا رواية عابرة ، وان رواها فبدون نكير أو تنديد .

ولا نتعرض لدعايات أعداء حركة أبى يزيد فالامر فيها ظاهر واضح ، والسبب فيها الغيظ والعصبية ، وقد كشفها أستاذنا الكريم الشيخ سليمان بن يوسف بما لا مزيد عليه . ولكنى أريد أن أشير هنا الى أن مصادر الاباضية نفسها حطبت فى ذلك الحبل ، وجرت على نفس سبيل المصادر الاخرى فشنعت على أبى يزيد ، ولابد من وقفة عابرة هنا . فنحن لا ننفى أن نواكب حركة ضخمة كحركة أبى يزيد بعض الهنات ، ولكننا نستبعد أن تبلغ تلك الصورة المهولة الصارخة التى سجلتها أقلام المؤرخين ...

ويخطىء كل الخطأ من يكلف أبا يزيد جيشا كجيش العمرين أو جندا كجند أبى الخطاب عبد الاعلى أو أبى منصور الياس وهى الصور التى يضع المؤرخ الاباضى مقياسه للصراع بين أبناء الامة على مثالها الفريد النادر ...

فجيوش الاباضية فى انكارهم على دول الجور سواء بقيادة أبى الخطاب ومن جاء بعده ومن سبقه ، وأبى منصور ومن تبعه كانوا يلتزمون التزاما دقيقا بسيرة الصحابة اتصلت عليه سيرتهم فورثها الخلف عن السلف ، والتزمت بها أجيالهم فلا يفرطون فيها ولا يقصرون عنها ...

فقد كانت سيرتهم رحمهم الله فى حروبهم لاهل القبلة ألا يتبعوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يأخذوا سلبا ولا سبيا ... نزهوا أيديهم عن كل ذلك فى التزام صارم ، وانما كانهمهم ابطال الجور واقامة الحق ، وليس جمع الغنائم والاسلاب أو الاتساع فى الملك والدولة ، وهو مسلك مثالى قصرت عنه الهمم بعدهم ومضى مثلا شروذا فى التاريخ لا يتكرر بيسر . وقد جاء اجماع من المؤرخين فى نقل تلك الصور الناصعة العظيمة .

فأبو الخطاب فى حربه لورفجومة ، فقد غادر قتلى الاعداء فى المعركة لم يمسهم سوء غير السيف !! حتى قال فيهم من رآهم « كانهم رقود » لم يصبهم سلب أو نهب ، ولم يصب زروع القوم وأجنتهم وأشجارهم ودورهم شيء من ممرة الجيش ، وكان ذلك شأن فى كل حروبه ... فهو جيش ربته التقوى ، ووقد أهله الورع ..

وأما أبو منصور الياس فقد قاد حملة تأديبية صد فيها جموع ابن طولون التى جاءت الى طرابلس تعيث فيها فسادا فرد ذلك الجيش الغازى وبقى فى ميدان المعركة بعد هزيمة ابن طولون ثمانمائة حمل ذهبا لم يمسها أحد من جند

أبى منصور ! ! فهذا جيش ما جاء فى طلب الدنيا ولو كانت ذهبا أصفر رناتا مباحا ... ولكنه جاء ينتصر لله ، رجاء ما عنده ، وبعد ذلك يستوى الذهب والتراب ، وهذا أيضا جيش ربته التقوى ووقده الورع . وهى طلائع مصفاة مصطفاة لا يقوم بها التاريخ دائما ... ولعل الذى انتقد سيرة أبى يزيد من مؤرخى الاباضية يريد أن يكلفه ما تكلف لهؤلاء ــ وحق له ــ وقد قال أبو القاسم مخلد بن يزيد أستاذ أبى خزر معلقا على حروب أبى يزيد مخلد بن كيداد : « لقد فتح فيهم أبو يزيد بابا لو أحسن السيرة » وهو كلام فيه اعجاب وعتاب ، وتقدير وانتقاد . أما أبو يزيد بن كيداد فقد اعتذر لنفسه وتلا قول الله تعالى : « **وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا** » (البقرة : 106) وتلك معرة جند مختلط ليست كتلك النماذج التى أشرنا اليها من قبل . وان هى أساءت فليس على تلك الصورة المهولة التى زينها الرواة وتفننوا فى عرضها . ولماذا أطيل عليك أخى القارىء ، فقد كفى أستاذنا الكريم وشفى فى هذا البحث القيم الذى لا يستطيع أن يقوم بمثله غيره **فهو** كما قال فيه بحق ، رفيقه فى الجهاد وصنوه **فى العلم** مؤرخ الجزائر الكبير الاستاذ أحمد توفيق المدنى : « ... لكى يستطيع باحث أن يخرج للناس مثل هذا الكتاب الجليل يجب أن يكون متحليا بثلاث خصال ما اجتمعت في واحد الا نادرا :

أولها : الاطلاع الواسع والتحرى العميق .

وثانيها : الفكر الثاقب والتحليل المنطقى السليم .

وثالثها : الشجاعة والاقدام ، والجرأة على قول كلمة الحق والدفاع عنها مهما كانت مخالفة لما يعتقد أكثر الناس وأخى وصديقى العلامة البحاثة الشيخ سليمان بن داوود قد جمع الله فيه هذه الخصال الثلاث التى جعلته يقدم للناس مثل هذا البحث الجليل » .

ولن أزيد شيئا بعد كلمة المؤرخ الجليل أكرمه الله ، ولكنى أهنىء أستاذنا العزيز بهذا الجهد الكريم وأدعوه الى المزيد ، وأسأل الله أن يبارك فى عمره وعمله وأن يوفقه الى جلائل الاعمـــال .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدكتـور عمـر خليفـة نـامى

نالوت جبل نفوسة ليبيا

مقـــدمـــة :

بـين يـــدى الكتـــاب

ظهرت الدولة الفاطمية بالمغرب على مشارف القرن الثالث الهجرى وتم لها السيطرة على اجزاء كثيرة فى المغربين الادنى والاوسط ، وكان أبو عبيد اللـه الشيعى ـ داعى دعاتها ـ يسمى اتباعه واشياعه بالمؤمنين ، واذا ركب نادى مناديه : يا خيل الله اركبى ـ وكتب فى بنوده ـ كما يقول أبو عبيد الله محمد بن حماد ـ صاحب كتاب أخبار ملوك بنى عبيد ، « سيهزم الجمع ويولون الدبر » ونقش على خاتمه : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم »

وعندما دخل مدينة رقادة تقدم بين يديه رجل يقرأ آية : « **هو الذى اخرج الذين كفروا من أهـل الكتاب من ديارهم لاول الحشر** » وآية : « **كم تركوا من جنات وعيون** » .

ومع ذلك كله ـ فان أبا عبيد الشيعى ـ كما يقول المصدر نفسه ـ عندما دخل القصر المعروف بقصر الصحن أمر بقتل

السودان من موالى بنى الاغلب عن آخرهم فقتلوا وكبوا على مناخرهم ـ وعندما تمكن أبو عبد الله المهدى أمر بهدم قصور بنى الاغلب بجميع بلاد افريقيا وبادر فقتل داعى دعاته أبا عبيد الله الشيعى وأخاه أبا العباس وأبى زاكى يوم الثلاثاء سنة 298 هـ .

ويقول أبو عبد الله بن حماد ـ ان مما أحدثه عبيد الله المهدى ما يأتى :

1 ـ انه قطع صلاة التراويح فى شهر رمضان .

2 ـ واسقط بصيام يومين قبله وقنت فى صلاة الجمعة .

3 ـ واسقط من اذان الصبح « الصلاة خير من النوم » وزاد «حى على خير العمل» «محمد وعلى خير البشر» .

4 ـ وغير ذلك من البدع التى يطول شرحها .

5 ـ واخطر ما قام به الفاطميون ، ويحسب عليهم ، ويشكك فى كل دعاواهم بل يؤكد كذب كثير من هذه الدعاوى ـ أمران :

اما أولهما : فهو نظرتهم لمخالفيهم من المسلمين ... انهم يرون غيرهم كفرة ملاحدة مشركين ، بل ربما كان الكفار عندهم أهون شانا من اخوانهم المسلمين . ومن هنا حسبت على الفاطميين مواقف من اسوأ ما عرف عن الدويلات أو الدول الاسلامية ، ومن هذه المواقف تحيزهم للصليبيين عندما هاجموا المشرق الاسلامى (فى الحملة الصليبية الاولى) .

ومنها تهنئتهم للنصارى النورمان عندما استولوا على صقلية من اخوانهم المسلمين ، وحولوها ـ وحتى اليوم ـ الى مقاطعة نصرانية .

واما ثانيهما : فهو استحلالهم لدماء المسلمين بشكل لم يسبق له مثيل انه ليس ثورة عاطفية تمثل رد فعل سرعان ما يهدأ أو يعقل ، ولكنه ملاحقة دموية دائمة لكل مخالفيهم من المسلمين ، حتى لو اضطروا للاستعانة عليهم بالنصارى كما حدث فعلا .

انه أسلوب غريب لا يليق بأهل البيت ، ولا يمكن أن ينحدر الى مستواه « أهل البيت الميامين » رضى الله عنهم اجمعين ... كلا ، وانما هو حقد بومىء الى ان صاحبه لا يملك شيئا من مقومات الاخوة الاسلامية ، ولا يحسب حسابا ليوم يقوم الناس فيه لرب العالمين ويسال كل انسان ـ حاكما أو محكوما عما اقترفت يداه تجاه الناس ولا سيما تجاه اخوانه المسلمين.

ومن هنا لم يهدأ الفاطميون فى المغرب ، وقامت ضدهم الانتفاضة تلو الانتفاضية والثورة تلو الثورة .

وكانت ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد هى أقوى تعبير عن الرفض الاسلامى لهذه الاساليب التى لجأ اليها الفاطميون فى حكمهم للبلاد التى خضعت لهم .

وأبو يزيد رجل فقيه ومعلم ، لم يمنعه عجزه المادى والمعنوى عن ان يقاوم المنكر ، وان يجند له كل الساخطين ، وان يهزم الفاطميين فى أكثر من موقعة حتى قضى الله أمره .

انـه شوط طـويل صوره العـلامة الشيخ سليمان داود ابن يوسف ابلـغ تصوير وتتبـع اطواره حسـب التسلسل التاريخى ، مدعما لكل ما ذهب اليه بالمصادر التاريخية ونحن ـ بالتأكيد ـ فى عالمنا الاسلامى الفسيح ـ محتاجون أشـد الاحتياج لكى نستفيد من كل مراحل تاريخنا ، وان نرصد ايجابياتها وسلبياتها ، حتى لا نكـرر ـ دائمـا ـ تجاربنا الخاطئة ، وحتى نعرف الصواب فى تاريخنا فنسير على هديه ونعرف الخطا فنتجنب مسالكه ودروبه .

وجزى اللـه العلامة الشيخ سليمان بن داود بن يوسف خـير الجـزاء .

د. عبد الحليم عويس

استاذ تاريخ (المغرب والاندلس) بالرياض

جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

بسـم اللـه الرحمن الرحيم

تقـــديـم :

يسرنى أن أقدم هذه الرسالة « ثـورة أبى يزيد جهـاد لاعلاء كلمة الله » للقارىء .

وتستحق هذه الثورة أن تبحث وتحلـل وتستبين للناس أسبابها ونتائجها العقائدية والسياسية فى المغرب الاسلامى .

وأبو يزيد مخلد بن كيداد الاباضى التكارى المولود حوالى 270 هـ (883 م) المتوفى فى 27 محرم 336 هـ (19 أوت 947 م) درس المذهب الاباضى وعمل ناظرا بمدرسة تيهرت ، ثـم ذهـب الى جبال أوراس ، وانتصرت له قبيلـة بنى كمـلان الهوارية واستطاع أن يدخل القيروان فى 23 صفر 333 هـ ، وكانت لـه علاقة بعبد الرحمن الثالث الاموى بالاندلس ، وكان زاهدا ذكيا ، وبذلك توصل الى اضعاف الدولة العبيدية والانتصار عليها فى كثير من المواطن ، وقـد تناول الشيخ سليمان بن الحاج داود بن يوسف فى رسالته هـذه أخبـاره وسيرته ، والنصوص التاريخية المتناثرة فى كثير من المصادر والمراجع فجمعها فى هذا السفر ليكون ذلـك مـادة خصبة للباحثين . وقد دافع الشيخ عن أبى يزيد دفاعا حارا ، لـم

يدافع به من سبقه من المؤرخين . وأظهر وجهة نظره بوضوح تام ، ويبدو أنه لم يهتم بتحليل الاسباب الاجتماعية والعقائدية والاقتصادية والسياسية التى جعلت أبا يزيد يثور على الدولة العبيدية ، ويقوض أركانها فى مدة قليلة نسبيا ، ولكنه لم يهمل الاسباب العقائدية وتعاون فقهاء المالكية مع أبى يزيد الذى عزم على تحريرهم من مظالم العبيديين ، ومن بدعهم الدينية التى أعلنوا عنها للناس وحملوهم عنها الا أن فقهاء المالكية قاوموا بدورهم ، ووقفوا مواقف حاسمة فى المعارضة والارتباط بالشعب ، وترك الحكام الرستميين فى عزلة مما جعل بين الحكام والشعب جفاء وكراهية قوية . ونجد أخبارا تاريخية هامة تشير الى هذا لدى المؤرخين المغاربة كابن عذارى ، والرقيق القيروانى ، وابن خلدون ولدى المؤرخين المشارقة كابن الاثير، والمقريزى وغيرهما . وأما مقاومة فقهاء المالكية فاحسن مرجع فى ذلك هو كتاب رياض النفوس للمالكى (١) .

ويشبه أبو يزيد فى ثورته هذه ابن تومرت الموحدى مع اختلاف فى بعض الظروف والملابسات التاريخية .

نرجو أن تكون هذه الرسالة نافعة ، وموضحة لكثير من العناصر الغامضة فى هذه الثورة الكبيرة العارمة .

الجزائر : 15 شعبان 1401 م
17 جوان 1981 م

د. عمار الطالبى

La Révolte d'Abu-Yazid. Cahiers de Tunisie 1953, pp. 103-125. وكذلك Revue des Etudes Islamiques. 1936, pp. 80-87.

ثـورة أبى يزيد جهاد لاعـلاء كلمة اللـه

(مقـدمـة)

أتناول فى هذا البحث الثورة المباركة لابى يزيد وجهاده القيم ضد الظلم والزندقة والالحاد ، أتناول أولا حياته قبل الثورة واعتكافه على نشر العلم ، ثم الاسباب التى دعته للثورة ثم انضمام جميع علماء المالكية اليه وقد اعتبروا ثورته جهادا فى سبيل الله وانطوائهم تحت لوائه واجب . وأتعرض لدحض الاكاذيب التى روجها الكثير زورا وبهتانا ، وأدفعها بحجج قاطعة ومصادر صحيحة لا تقبل الرد .

التعـريف بـأبى يـزيد

كنيته أبـو يزيد واسمه مخلد بن كيداد بن سعد اللـه ابن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وزغت من بنى يفرن احدى قبائل زناته . وكان أبوه تاجرا يسافر للسودان فولد أبو يزيد بكركو (١) قالوا انه قاد الثورة وعمره ستون سنة فتكون ولادته حوالى 270 هـ 883 م ووجود

أسماء ستة من أجداده عربية دليل على أن أسرته اعتنقت الاسلام مبكرا فيكون اسلام أسرته فى القرن الاول (2) . وقد ذكرت فى احدى محاضراتى أن مغراوة وبنى يفرن وبنى واسين أسلموا باختيارهم زمن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه (3) والحقيقة أن كلمة أبى يزيد ليست عربية وانما هى بربرية والاصل (بويزيد) بدون ألف معناه (صاحب الحمار) فبو معناه صاحب ويزيد معناه الحمار .

نشأته

كان أبوه كيداد يختلف الى بلاد السودان فى التجارة فولد أبو يزيد بكركو من بلادهم وأمه اسمها (سبيكة) ورجع به الى قيطون زناته ببلاد قسطيلة ونزل بتوزر مترددا بينها وبين تيفوس ، وتعلم القرآن وتأدب وكان (بنو يفرن) ممن اعتنق المذهب الاباضى فى القرن الاول حينما أقدم عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما الى المغرب وكان يدعو الى المذهب الاباضى وله مجلس بجامع سيدى عقبة بالقيروان. قال أبو العرب (1) وكان مجلس عكرمة فى مؤخر المسجد الجامع غربى المنارة ، وهناك روى عن عكرمة الحديث والتفسير خلق كثير من أبناء التابعين الافريقيين كما أثبته أصحاب الطبقات ومما يجدر بالملاحظة أن عكرمة كان فى طليعة من أدخلوا النزعة الخارجية الى افريقيا اذ كان يرى رأيهم وعنه انتشرت نحلتهم وآراؤهم فى القيروان وفى بقية أنحاء المغرب ، ومات سنة 105 هـ كما هو معروف اهـ بنصه من كتاب الورقات

(1) طبقات أبى العرب ، ص 19 .

للشيخ حسن حسنى عبد الوهاب (2) . يقول ابن خلدون فى الحديث عن زناتة : بنو يفرن هؤلاء أوسع بطونهم وهم (اخوة مغراوة) وبنو يرنيان وبنو واسين والكل بنو يصلتين ، وقد تفرع عن (بنى واسين) بنو مرين وبنو راشد وبنو مزاب وبنو عبد الواد وبنو زروال وكان بنو يفرن هؤلاء لعهد الفتح أكبر قبائل زناتة وأشدها شوكة وكان منهم بافريقيا وجبل أوراس والمغرب الاوسط بطون وشعوب ، فلما كان الفتح حسن اسلامهم . ولما نشأ مذهب الخوارج بالمشرق قدموا لافريقيا يبثون بها دينهم فى البربر فتلقفه رؤساؤهم ففشى فيهم المذهب الاباضى والصفرى وضرب بنو يفرن هؤلاء بسهم وانتحلوه وقاتلوا عليه (3) ، فمن الطبيعى أن يكون أبو يزيد اباضيا من أول نشأته كسائر بنى يفرن وتعلم القرآن وتأدب وراس فى المذهب الاباضى ورحل الى مشيختهم بتاهرت وأخذ عرابى عميرة منهم أيام اعتقال عبيد الله بسجلماسة وذلك لما أظهر أبو القاسم العبيدى مذهبه بسب الصحابة وتكذيب كتاب الله فمن تكلم عذب وقتل واشتد الامر على المسلمين . ثم أن أبا يزيد هبط من جبل أوراس يدعو الى الحق ويعتقد الخروج على السلطان ويحتسب على الناس فى كثير من أفعالهم وعلى جباية الاموال وأغار على عامل تيفيوس وأمر بقتله فقتله أهل تيفيوس .

وقد تخرج من مدرسة سجلماسة الاباضية وكان رفيقا لاحد كبار علماء الاباضية وهو الشيخ أبو الربيع سليمان

(2) ورقات القسم الاول . ص 106 .

(3) ابن خلدون ، ج 6 ـ 23 الاصالة العدد الخاص بتلمسان . ص 112 .

ابن زرقون واستاذهم ابن الجميع . وقد قاما بجولة فى بلاد الاباضية معا . ومات أبوه كيداد وتركه على حال من الخصاصة والفقر فكان أهل القيطون يصلونه بفضل أموالهم وكان يعلم صبيانهم القرآن والمذهب الاباضى وكان يتنقل بين تيقيوس وتوزر (5) ولقى أبو يزيد عمار الاعمى فأخذ عنه أصول مذهبهم (6) وأخذ نفسه بتغيير المنكر والتشهير بأعمال الولاة وشاع عنه الخروج عن السلطان فنذر الولاة بقسطيلة دمه فخرج الى الحج سنة 310 هـ 928 م فرارا من عبيد الله ، وكان يطلبه فلما وصل الى مصر نظر اليه رجل من أهل مصر وقد حلق رأسه غط رأسك أيها الثائر فلما سمعها أبو يزيد وقع فى نفسه ما وقع من ذلك ، وذلك أن جبل نفوسة بقى بدون علماء بعد معركة مانو ولهذا جاءت الطلبة الى سجلماسة لطلب العلم وفيها اذ ذاك علماء أجلاء والتعليم مزدهر ، ولا يخفى أن العبيديين لم ينجحوا فى الاستيلاء على سجلماسة ، والقضاء على دولة بنى مدرار فبعد أن خربوا البلد وقتلوا الامير استرجع بنو مدرار دولتهم وأعادوا بناء عاصمتهم وعجز العبيديون على الاستيلاء عليها فكان مرجعا للاباضية فى العلم والقيام بالثورات باعانة أمراء الاندلس (7) ولما قدم (أبو الربيع سليمان بن زرقون) من جبل نفوسة مر بتوزر فصاحبه أبو يزيد واستحكمت الصداقة بينهما حتى بعد أن صار أبو الربيع من فطاحل علماء الاباضية وبه انتشر

(5) الاباضية بالجريد ، ص 112 .
(6) الاباضية بالجريد ، ص 117 ـ ابن خلدون . ج 7 . ص 129 .
(7) تاريخ المغرب للسان الدين الخطيب .

العلم بجبل نفوسة . وقد أحياه بعد الممات . فسار متوجها الى الحج . فأرهقه الطلب بالمكس فى البلاد التى يمر بها فرجع ولما وصل قرب جبل نفوسة فارقه من كان معه من اباضية جبل نفوسة قاصدين منازلهم ، فقال لهم أبو يزيد اقرأوا اخواننا السلام وقولوا لهم قد فاتنا منكم كثير وفاتكم منا كثير وانه ليس لله علينا أن (نشترى حجة) يشير بهذا الى المكس الذى طولب به (8) يهون الفلس عادة على من كان قاصدا بيت ربه !

عزمه على الثورة

وبعد رجوعه الى تيقيوس سنة 316 هـ 928 م ابتدأ حملة الدعاية ضد (الحكومة) فسمع به أبو القاسم فكاتب والى قسطيلة بالبحث عنه ومطالبته ، فلحق بالمشرق وقضى الفرض ورجع الى توزر مستترا سنة خمس وعشرين فبدأ دعوته للثورة من جديد (9) .

فوجه اليه والى قسطيلة من توزر فأخذ وسجن فى توزر مكبولا فطال مقامه فى السجن حتى قنط وايس من السلامة وانسدت عليه أبواب الحيل فبلغ خبره جماعة من الاباضية فتشاوروا فى أمره فأجمعوا على أن يختاروا أربعة رجال أهل شدة ونجدة ومعهم الفضل ويزيد بن أبى يزيد (10) ، فساروا آخر النهار فدخلوا توزر فوقف أحدهم على باب

(8) طبقات الدرجينى ، ج 1 ، ص 97 .
(9) ابن خلدون . ج 7 . ص 123 .
(10) ابن خلدون . ج 7 ، ص 27 .

المدينة وتقدم ثلاثة الى السجن وكسروا بابه وقتلوا السجان وأخرجوا جميع من فى السجن فأخرجوا صاحبهم فى كبوله فحمله أحد الثلاثة على ظهره وجرد الآخران سيوفهما فجعل أحدهما أمامه والآخر وراءه فكل من قام اليهم قتلوه حتى خرجوا من المدينة فلم يتبعهم أحد فلما وصلوا موضعا بين الحامة وتوزر ، وهنالك صخرة حطوه عليها وكسروا الكبول حتى أطلقوه والصخرة معروفة هناك (بصخرة آبى يزيد) الى اليوم فتوجهوا بصاحبهم الى صحراء سماطة قاصدين بنى درجين فكان بها حينئذ مستخفيا حتى وصل جبل أوراس فكان عند اخوانه بالجبل مكرما (11) . وكان فى جبل أوراس فى كنف جماعة هوارة بنى كملان فلقى منهم تأييدا كبيرا وبقى أنصاره المخلصين الى آخر رمق وكان يعينه على القيادة الامام أبو عمار عبد الحميد بن عبد الله الاعمى الذى خلصه عندما أودع السجن بتوزر وكان له أبناء أربعة وامرأة تسمى تاخيرين على مذهبه (12) وأراد توسيع نطاق ثورته فلحق ببلد بنى ورقلا وأقام بها سنة يختلف الى جبل أوراس والى بنى برزال فى مواطنهم بالجبال قبلة المسيلة والى بنى زنداك من مغراوة الى أن أجابوه فرجع الى أوراس ومعه شيخه أبو عمار عبد الحميد واجتمع اليه العزابة وسائر الاباضية وأخذ له البيعة عليهم أبو عمار على قتال العبيديين على أنهم ان ظفروا بالمهدية والقيروان صار الامر شورى ، وذلك سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة (13) .

(11) البيان المغرب لابن عذارى ، ج 1 . ص 27 مكتبة صادر .
(12) بالاباضية بالجريد . ص 117 . الميلى 97 .
(13) ابن خلدون . ج 7 ، ص 28 .

وقبل أن نواصل حديثنا عن تفاصيل ثورته نأتى بنبذة عن الجو المكفهر السائد فى ذلك الوقت بظلم العبيديين وزندقتهم وكفرهم ونتناول بالبحث ما قيل عن نسبهم ونأتى ببعض ما أرادوا أن يحملوا عليه الشعب المسلم من الكفر بوسائل التعذيب والقتل من مصادر صحيحة . ونختم بحثنا عن تزييف الاكاذيب والافتراء عليه بالباطل بحجج لا تقبل الطعن ونظهر الحقائق التى طمست أكثر من ألف عام حتى يتضح الحق من الباطل وندحض ما ينسب زورا وبهتانا الى من قادته غيرته الدينية الى الجهاد الى الانحراف فى آخر عمره، ورحم الله ابن النديم وقاضى القضاة عبد الجبار المعتزلى ، حيث كشفا الغطاء وأظهرا الحق لانهم لم يكونوا تحت سلطة العبيديين فيسيروا فى خطتهم خوف بطشهم .

ثورة أبى يزيد جهاد لنصرة الاسلام

سببها ما قام به العبيديون من التخريب والقتل وارغام الناس على الكفر وذلك أنه لما استولى العبيدى على البلاد فخرب وأحرق أكثرها خصوصا العواصم منها مثل سجلماسة وتيهرت والقيروان أظهر كفره وتفصيل ما قاموا به من التخريب يطول (14) قال الامام ابن يمينة فى الرسالة الاولى : بنو عبيد الله القداح ملاحدة زنادقة منافقين ، وكان نسبهم باطلا كدينهم (15) . وقد أخرج عبيد الله العساكر الى تيهرت فى أعداد عظيمة وخلق لا يحصى كثرة فقتلوا الرجال

(14) البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى ، ج 1 .
(15) مجموع الرسائل لابن تميمة . المطبعة العامرة 1322 بمصر ، ص 138 .

وسبوا النساء والذرية وانتهبوا الاموال وحرقوها بالنـار ، وبلغ عدد القتلى ثمانية آلاف رجل (16) .

يقول عثمان الكعاك قـد أنشأ الرستميون مكتبة عظيمة تعرف بالمعصومة تشتمل على كتب قيمة فى مختلف المذاهب والتاريخ والعلوم الرياضية وغيرها أحرقها العبيديون عند استيلائهم على تيهرت (17) ، وكذلك انتهب العبيدى ورجاله سجلماسة واحرقها (18) . قال ابن عذارى تجول أبو عبد الله الشيعى فى بلاد البربر وقتل الرجال وأخذ الاموال وسبى الذرية وأحرق بعض المـدن بالنار (19) . وقـد أوقـع على ابن سليمان أحد قواد العبيدى بأهل نفوسة ودخل حصنهـم وهدمه وقتل الرجال وسبى الذرية (20) .

أصـل العبيـدى ونسبـه

قال ابن عذارى : ان العبيدى دعى وان انتسابه للطالبين دعوة باطلة . وذكروا عن القاسم بن طباطبا العلوى أنه قال : واللـه الذى لا الـه الا هو ما عبيد الله منا ولا بيننا وبينه نسب . وقـد فضح القاضى أبو بكـر بن الطيب الباقلانى نسبه فى كتاب (كشف الاسرار وهتك الاشرار) وذكر أنهم قرامطة وأن أبا عبد اللـه الشيعى أحدث لهـم هذا المذهب

(16) ابن عذارى البيان المغرب ، ج 1 ص 223 .
(17) موجز تاريخ الجزائر ، ص 205 .
(18) البيان المغرب ، ج 1 ص 210 .
(19) ابن عذارى ، ج 1 ص 230 .
(20) البيان المغرب لابن عذارى ، ج 1 ص 219 .

ونسبهم هذا النسب . وحكى بعض المؤرخين أن جعفر بن على كانت له جارية ففشيها رجل من القرامطة وقيل من اليهود دفعت له مالا فكان يهواها وتهواه وقتلت جعفرا مولاها فولد جد عبيد الله هذا . هكذا ذكر ابن القطان فى نسبه (21) . قال ابن عذارى أن اسمه سعيد وانما تسمى بعبيد الله ليخفى أمره لانه كان عليه الطلب .

قال قاضى القضاة عبد الجبار أن دعاة الباطنية يعلمون أن سعيدا هذا ليس هو ابن الحسين بن محمد ، وانما هو ابن امرأة الحسين هذا وأبوه يهودى حداد من أهل سلمية من أرض الشام وأن الحسين لما تزوج بأمـه حظيت عنده فأحب ولدها سعيدا هذا وانما رغب فيها لفرط جمالها ، وكان سعيد هذا يشبهها فى الجمال ، وكان لـه ذكاء وفطنة فتولى الحسين زوج أمـه تربيته وتعليمه على ما يحب ويختار فقبل منـه وأخذ عنـه فعرفه حال الدعوة ، ورجالها وأسرارها ودعاتها وأين هـم وكم هم وكيف كان أولها وابتداؤها وزوجه الحسين زوج أمه بنت أبى الشلعلع ، وأبو الشلعلع هذا من ولـد عبد اللـه ابن ميمون القداح ، فولدت لسعيد أبنا فسماه عبد الرحمن . وقد علمتم أن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان (22) .

كنت حريصا فى الاطلاع على تاريخ الاسلام للامام الذهبى لما عرفته من أبحاثه القيمة فى رجال الحديث ورواته ، وبحثت

(21) المصدر نفسه ص 265 .
(22) تثبيت دلائل النبوة ، ج 2 ص 597 .

عنه ، فبلغنى أنه توجد نسخة منه ببغداد ونويت السفر الى بغداد للاطلاع عليها فقيل لى أنها قدمت للطبع ففرحت لذلك . ولكن لم يظهر لها أثر . وبلغنى أنها اكتشفت نسخة فى جامعة عين الشمس ، فبعثت من يقوم بأخذ صورة شمسية لها فرجع وقال اننى كلفت صديقا لى بذلك . ولكننى واصلت البحث حتى عثرت على نسخة فى المكتبة الوطنية قسم المخطوطات بباريس . وأخذت صورة فوتغرافية لما كتبه الامام الذهبى عن العبيديين وثورة أبى يزيد ، واليكم نص ما قاله فى الجزء الرابع صفحة 118 :

عبيد الله المهدى أول خلفاء الباطنية بنى عبيد أصحاب مصر والمغرب ، وهو دعى النسب ، ادعى أنه من ولد الحسين ابن على، والمحققون متفقون على أنه ليس بحسينى. وما أحسن ما قال المعز صاحب القاهرة ، وقد سأله ابن طباطبا العلوى عن نسبهم فجذب نصف سيفه من الغمد وقال هذا نسبى ونثر على الحاضرين والامراء الذهب ، وقال هذا حسبى . توفى عبيد الله بالمغرب فلا رحم الله فيه مغزر ابرة . قال أبو الحسن القابسى رحمه الله ان الذين قتلهم عبيد الله وبنوه ، أربعة آلاف رجل فى العذاب ما بين عابد وعالم ليردهم عن الترضى عن الصحابة فاختاروا الموت وفى ذلك يقول سهل فى قصيدته :

واحل دار النمر فى أغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات

ودفن جميعهم بالمنستير وحولها . والمنستير بلسان الافرنج (المعبد الكبير) وبها قبورهم . وكانت دولة عبيد الله بضعا وعشرين سنة ، ويا حبذا لو كان ذا فضل ولكنه زنديق .

وحكى الوزير التفطى فى سيرة بنى عبيد قال : كان أبو عبيد الله الشيعى أحد الدواعى وذلك أنه جمع مشائخ كتامة . وقال ان الامام كان بسلمية قد نزل عند يهودى عطار يعرف بعبيد فقام به وكتم أمره ، ثم مات عبيد عن ولدين فأسلما وأمهما على يد الامام وتزوج بها وبقى مستترا والاخوان فى دكان العطر فولدت للامام ابنين فعند اجتماعى به سألته أى الابنين امامى بعدك ؟ فقال من أتاك منهما فهو أمامك . سرت فى احضارهما فوجدت أباهما قد مات هو وأحد الولدين ووجدت هذا فأتيت به وقد خفت أن يكون أحد أبنى عبيد اليهودى ، فقالوا وما أنكرت منه ؟ قال آن الامام يعلم الكائنات قبل وقوعها وهذا قد رحل معه بولدين وخص الامر فى الصغير بعده — فمات بعد عشرين يوما . فلو كان اماما لعلم بموته . قالوا ثم ماذا ؟ قال ان الامام لا يلبس الحرير ولا الذهب وقد لبسهما وليس له أن يخالف الله فيما تحقق أمره وقد وطىء نساء زيادة الله فتشككت كتامة فى أمره وقالوا ما ترى نقيضه ونسير من يكشف لنا غرض أولاد الامام على الحقيقة ، فأجمعوا أمرهم ووقف هرون بن يوسف كبير كتامة ، فوجد المهدى فقال له قد شككنا فى أمرك فأت بآية . فأجابه بأجوبة قبلها عقله وقال : تيقنتم واليقين لا يزول بالشك وان الطفل لم يمت وانه أمامك ، وانما الائمة ينتقلون وقد انتقل لاصلاح جهة أخرى فقال : آمنت بالله . ولبسك الحرير ؟ قال أنا المشرع أحلل لنفسى ما أريد ، وكل الاموال لى وزيادة ، كان غاصبا ، وأما أبو عبيد الله وأخوه فكانا يخبئان عليه فوثق من قتلهما . ثم خر عليه جماعة من كتامة فظفر بهم

وقتلهم ، وخالفا أهل طرابلس فوجه ولده القائم لاخذ مصر مرتين ويرجع مهزوما . وبنى المهدية ونزل بها سنة ثمان وثلاثمائة ، وعاش ثلاثا وستين سنة . وقال الامام الذهبى فى صفحة 104 ما نصه : قال قاضى عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار البصرى ، لم أجد خلفاء المصريين سعيد ويلقب بالمهدى وكان أبوه يهوديا حدادا بسلمية ، زعم سعيد هذا أنه ابن الحسين بن محمد ، وأهل الدعوة يزعمون أن سعيدا انما ابن امرأة الحسين المذكورة ، وأن الحسين رباه وعلمه أسرار الدعوة ، وزوجه ببنت أبى الشلعلع ، فجاءت بابن سماه عبد الرحمن . فلما دخل المغرب وبلغ سجلماسة تسمى بعبيد وكنى بأبى محمد وسمى ابنه الحسين ، وزعمت المغاربة أنه يتيم رباه ، وليس بابنه وكناه أبا القاسم وجعله ولى عهده . وقتل عبيد الله خلقا من العساكر والعلماء وبث دعاته فى الارض وكانت طائفة تزعم أنه الخالق الرازق ، وطائفة تزعم أنه نبىء ، وطائفة تزعم أنه المهدى حقيقة . وقال القاضى أبو بكر بن البقلانى أن القداح جد عبيد الله كان مجوسيا ، ودخل عبيد الله المغرب وادعى أنه علوى ولم يعرفه أحد من علماء النسب وكان باطنيا خبيثا حريصا على ازالة ملة الاسلام ، أعدم العلماء الفقهاء ليتمكن من اغراء الخلق ، وجاء أولاده على أسلوبه أباحو الخمور والفروج وأشاعوا الرفض وبثوا دعاة فأفسدوا عقائد خلف من جبال الشام كالنصرية والدرزية . وكان القداح كاذبا منحرفا وهو أصل دعاة القرامطة . وقال أيضا فى كتاب كشف أسرار الباطنية أول من وضع هذه الدعوة طائفة من المجوس وابناء الاكاسرة

ثم قال اتفقوا على عبد الله بن عمرو بن ميمون القداح وأمدوه بالاموال ، وكان مشعوذا ، يظهر الزهد ، ويزعم أن الارض تطوى له وجد القداح هو ديصان . وجاء ابن القداح على أسلوب أبيه وكذا ابنه وهو الذى يقال له عبيد الله ويلقب بالمهدى صاحب القيروان وجد بنى عبيد الذى تسميهم جملة الناس الخلفاء الفاطميين ، وأهل العلم بالانساب المحققين ينكرون دعواه فى النسب ويقولون اسمه سعيد ولقبه عبيد الله وزوج أمه الحسين بن أحمد القداح . وأنه لما سار من الشام ووصل الى سجلماسة فالتقى باليسع آخر ملوك بنى مدرار ، واعلمه بأنه الذى يدعو له عبد الله الشيعى بالقيروان فسجنه . فجمع الشيعى جيشا من كتامة وقصد سجلماسة وأخرج عبيد الله وبايعه الناس وسلم اليه الامر . ثم ندم ووقعت الوحشة بينهما كما تقدم قبل هذا فى موضعه من هذا الكتاب ، وآل الامر أن المهدى قتل أبا عبد الله الشيعى وأخاه ودان له المغرب وبنى مدينة المهدية والله أعلم .

وبعد أن نقلت حرفيا ما وجدته فى تاريخ الاسلام للامام الذهبى فاتنى أن أنقل أيضا عن أحد كبار الباحثين فى التاريخ وأبرز شخصية من تلامذة ابن خلدون وهو تقى الدين أحمد بن عبد الله المقريزى وان كان يشيد بمدحهم ويذكر مآثرهم ويفتخر بهم فانه لم يمنعه ذلك عن نشر ما ورد من الطعن فى نسبهم من مصادر موثوق بها . ولا مجال للشك فى صحتها . وقد كتب ذلك فى موسوعته الكبيرة كما يسميها الدكتور جمال الدين الشيال « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » وفى كتابه « اتعاظ الحنفا باخبار

الائمة الفاطميين الخلفاء » . واخترت أن أنقل عن هذا الاخير فانه ألف فى تمجيدهم فيكون ما ذكر من الطعن فيهم أبلغ وأصدق ، وكل جملة ذكرها غيره فانى أضيف على الهامش مصدرها . قال ما نصه (صفحة 22) : وقد وقفت على مجلد يشتمل على بضع وعشرين كراسة فى الطعن على انساب الخلفاء الفاطميين ، تأليف الشريف العابد المعروف بأبى محسن وهو محمد بن على بن الحسين فأوصل نسبه الى جعفر الصادق ويكنى بأبى الحسين (23) . وهو كتاب مفيد . وقد عبرت فيه زمنا أظن انه قائل ما اذا حاكيه حتى رأيت محمد ابن اسحاق النديم فى كتابه الفهرست ذكر هذا الكلام بنصه (24) . وعزاه الى أبى عبد الله بن رازام . وانه ذكره فى كتابه الذى رد فيه على الاسماعلية قال هؤلاء القوم من ولد ديصان التنوى وهو ممن تنسب اليه التنوية وهو مذهب يعتقدون فيه خالقين أحدهما يخلق النور والآخر يخلق الظلمة . فولد ديصان هذا ابنا يقال له ميمون القداح وكان له مذهب فى الغلو فولد لميمون هذا ابن يقال له عبد الله ، كان أخبث من أبيه فعمل أبوابا عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الاسلام ، فرتب ما جعله فى سبع دعوات يتدرج الانسان من واحدة الى أخرى حتى ينتهى الى الاخيرة فيبقى معرى من جميع الاديان لا يعتقد غير التعطيل والاباحة ، ولا يرجو ثوابا ، ولا يخشى عقابا . ويقول انه على هدى هو وأهل مذهبه وغيره . قال مغفل وكان عبد الله بن ميمون يريد بهذا

(23) علوى عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع .
(24) ورد فى لابن النديم ، صفحة 264 ـ 265 تحت عنوان الكلام على مذهب الاسماعلية .

فى الباطن أن يجعل المخدوعين أمة له يستمد من أموالهم بالمكر والخديعة ، وأما فى الظاهر فانه يدعو الى الامام من آل البيت ليجمع الناس بهذه الحيلة . وكان عبد الله بن ميمون هذا أراد أن يتنبأ فلم يتم له فولد له ولد يقال له أحمد فولد له ولدان هما الحسين ومحمد المعروف بأبى الشلعلع . وكان للحسين ابن اسمه سعيد فبقيت الدعوة له حتى كبر ، وقد كان أشهر أمرهم بسلمية ، وأيسروا وصارت لهم أملاك كثيرة فبلغ خبرهم السلطان فبعث فى طلبهم ففر سعيد من سلمية يريد المغرب ، وكان على مصر يومئذ عيسى النوشرى واليا على مصر ، فدخل سعيد على النوشرى فنادمه ، فبلغ السلطان خبرهم فبعث فى طلبهم والقى القبض عليه وفى المجلس أحد أصدقائه فبعث اليه يحذره فهرب سعيد وكبس النوشرى داره فلم يوجد فبعث النوشرى الى والى الاسكندرية بالقبض على سعيد . وكان الوالى رجل اسمه على بن وهودان وكان سعيد خداعا فلما قبض عليه قال انى رجل من آل الرسول فرق له ابن هودان وخلاه فسار حتى نزل سجلماسة وهو فى زى التجار فتقرب الى وليها وأقام عنده مدة ، فبلغ الخليفة العباسى خبره فبعث فى طلبه فلم يقبض عليه والى سجلماسة ، فورد عليه كتاب آخر فقبض عليه وحبسه ، وكان خبره قد اتصل بأبى عبد الله الداعى فسار حينئذ بالبربر الى سجلماسة وقتل واليها وأخذ سعيدا وصار صاحب الامر وتسمى بعبيد الله وتكنى بأبى محمد وتلقب بالمهدى ، ولم يلبث الا يسيرا حتى قتل أبا عبد الله الداعى وتملك البربر وقلع بنى الاغلب ولاة المغرب . قال فعبيد الله الملقب بالمهدى هو سعيد بن الحسين

ابن أحمد بن عبد الله ابن ميمون القداح بن ديصان التنوى الاهوازى وأصلهم من المجوس . وكان آباؤه يظهرون التشيع والعلم وأنهم يدعون الى الامام اسماعيل بن جعفر ، وأنه حى لم يمت ، وهذا القول باطل . وباطنهم غير ظاهرهم ، وليس يعرف هذا القول الا لهم ، وهم أهل تعطيل واباحة . وانما جعلوا علاقتهم بآل رسول الله بابا للخديعة والمكر ، ولم يتم لسعيد أمر بالمغرب الى أن قال أنا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتم له بتلك الحيلة والخديعة وشاع بين الناس أنه علوى فاطمى من ولد اسماعيل بن جعفر فاستعبدهم بهذا القول ، وخفى أمر مذهبه عليهم الا من كشف له من خاصته ودعاته فى تعطيل البارى والطعن عليهم وعلى جميع الانبياء ، واباحة نفس أممهم وأموالهم وحريمهم ، لما استولى العبيديون على مصر جمع عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو ابن الحسن الديلمى صاحب بغداد جميع العلويين ببغداد وقال لهم : هذا الذى بمصر يقول أنه علوى منكم ، فقالوا ليس هو منا ، فقال لهم ضعوا خطوطكم . فوضعوا خطوطهم أنه ليس بعلوى ، ثم أنفذ الى نزار بن معد رسول الى مصر يقول له نريد أن نعرف ممن أنت ، فعظم ذلك عليه فذكر أن قاضيه ابن النعمان سابق الامر لانه كان يلى أمر الدعوة والمكلف بثه فى أمرها فنسب نزار الى آبائه وكتب نسبه وأمر به أن يقرأ على المنابر الى أن بلغ لعبيد الله المهدى قال ابن الائيمة المستضعفين وقطع ثم أنهم قتلوا رسول فناخسر بالسم الى أن قال ، وقد اسجل القضاة ببغداد بنفيهم بهذا النسب وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم

الشريف الرضى وأخوه المرتضى وابن البطحاوى ، ومن العلماء أبو حامد الاسفرايني والقدورى والصميرى وابن الاكفانى والابيورى وأبو عبد الله ابن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من أعلام الايمة ببغداد فى يوم مشهود ، وذلك سنة اثنين واربعمائة . وكان ميمون بن ديصان يلقن لكل من وثق به أن لكل شيء من العبادات باطنا ، وأن الله لم يوجب على أوليائه ومن عرف به من الايمة والابواب صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ، ولا حرم عليهم شيئا . وأباحوا لهم نكاح الامهات والاخوات وقالوا هذه قيود للعامة وهى ساقطة عن الخاصة ، وكانوا يظهرون التشيع لآل النبيء صلى الله عليه وسلم ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة ، وتفرق أصحابهم فى البلاد وأظهروا الزهد والعبادة يغرون الناس بذلك وهم على خلافه ، وتفرقت هذه الطائفة فى البلاد ، وتعلموا الشعوذة ، فهم يحتالون على كل قوم باظهار على أسرار هذه النحلة ، فحدق وتقدم ، وهذا ما أورده المقريزى فى كتابه « اتعاظ الحنفا من ص 22 الى ص 55 » ونقلته عنه باختصار . وقد أورد هذا مع اختلاف يسير فى التعبير في كتابه «الخطوط والاعتبار» ج 2 ص 158 تحت عنوان « أذكر ما قيل فى نسب الخلفاء الفاطميين بناة القاهرة » ونقل جزءا آخر فى الخطط ج 2 ص 223 — 234 . ونقله ابن النديم الفهرست ص 264 — 265 تحت عنوان « الكلام على مذهب الاسماعلية » فهو متفق مع هذا النص فى المعنى وان اختلف عنه فى اللفظ . ونقل كذلك عن ابن رازم غير من ذكر مؤيدين لمقاله مثل ابن النديم فى الفهرست ص 264 — 266 .

قال العلامة الفقيه محمد بن مالك الحمادى اليمانى من فقهاء السنة فى أواسط المائة الخامسة للهجرة . وقد تمكن من الاندساس بين الصلحيين من أهل هذا المذهب فى اليمن حتى خبر خبرهم ودرس ظاهرهم وباطنهم . ثم ألف هذا الكتاب تحذيرا للمسلمين من الاغترار بمبادىء دعوتهم . وسمى كتابه كشف الاسرار الباطنية وأخبار القرامطة . طبع بمصر سنة 1939 . قال ما نصه ص 16 .

المقالة فى أصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها

وقد رأيت أيها الناس وفقنا الله وأياكم للصواب وجنبنا واياكم طرق الكفر والارتياب أن ذكر أخيار هذه الدعوة الملعونة لئلا يميل الى مذهبهم مائل . ولا يصبوا لمقالتهم لبيب عاقل . اعلموا يا اخوانى فى الاسلام أن لكل من أسباب الخير والشر والنفع والضرر والداء والدواء أصولا . وللاصول فروعا . وأصل هذه الدعوة الملعونة التى استهوى به الشيطان أهل الكفر والشقاء ظهور عبيد الله بن ميمون القداح وما كان له من الاخبار المعروفة والمنكرات المشهورة ، نصب للمسلمين الحبائل وبغى لهم الغوائل . ولبس الحق بالباطل ، ومكر أولائك هو يبور . وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيرا ولكل حديث عن رسول الله تأويلا . وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية ويظهر الاسلام ، وهو من اليهود من ولد الشلعلع ، وكان حريصا على هدم الشريعة الاسلامية المحمدية لما ركب الله فى اليهود من عداوة الاسلام وأهله والبغضاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يجد ما يروجه ويدخل به على الناس

حتى يردهم عن الاسلام الطف من دعوته الى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما كان من القداح وعقبه لعنه الله

كان من أولاد عبيد الله وهو المهدى واليه تنسب دولتهم ، فيقال الدولة العبيدية . ويتورع أهل التحرى من تلقيب دولتهم بالفاطميين حيث لم يثبت نسبهم المزعوم كما حققه أهل التحرى من ثقات المؤرخين وانتحالهم الشرف انتحال كاذب وليس لهم برهان على ذلك وأهل الشرف ينكرون ذلك ، والكل يقصيهم عن الشرف الا من دخل فى كفرهم وضلالهم فانه يشهد لهم بالزور . والدليل على أنهم من ولد اليهود ، استعمالهم اليهود فى الوزارة والرياسة وتفويضهم فى تدبير السياسة . وما زالوا يحكمون اليهود فى دماء المسلمين .

وقد استجاب له حينما كان بالكوفة قبل قدومه للمغرب تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون . منهم أبو سعيد الجبحاب لعنه الله . وفى نهاية الارب جزء خاص بتاريخ العبيديين لا يزال مخطوطا . أتى فيه بأدلة قاطعة فى الطعن فى نسبهم .

قال ابن النديم ان عبد الله بن ميمون ويعرف بميمون القداح ، وكان من أهل فوزى العباس قرب مدينة الاهواز ، وأبوه ميمون الذى تنسب اليه الفرقة المعروفة بالميمونية التى أظهرت اتباع أبى الخطاب محمد بن أبى زينب الذى دعا الى الاهية على بن أبى طالب رضى الله عنه . وكان ميمون وابنه

ديصانيين ، وادعى عبد الله أنه نبيء مدة طويلة . وكان يظهر الشعائر ويذكر أن الارض تطوى له ، فامضى الى أين أحب فى أقرب وقت ، وكان يخبر بالاحداث الكائنات فى البلدان الشاسعة ، وكان له مرتبون فى موضع يرغبهم ويحسن اليهم ويعاونوه على نواميسه ومعهم طيور يطلقونها من المواضع المتفرقة الى الموضع الذى فيه بيت عبد الله فيخبر من حضره بما يكون ، فيموه بذلك عليهم . وفى أيام عبيد الله بالمغرب ظهر فى كثير من اتباعه الاستخفاف بالشريعة . فخرج عليهم رجل يعرف بأبى يزيد المحتسب واسمه مخلد بن كيداد البربرى الزناتى من بنى يفرن الاباضى ، ويعرف بصاحب الحمار ، فكثر اتباعه ومعاونوه ، فحارب ابنه الحسن وحصره بالمهدية الى أن مات الحسن فى الحصار ، فقام بعده ابنه اسماعيل ويكنى أبا طاهر فأظهر تعظيم الشريعة حتى مات أبو يزيد فأظهر اسماعيل الاستخفاف بالشرع فعاجله الله بالمنية . هذا بعض ما أورده ابن النديم فى الفهرست . وذكر الشيخ محمد الباجى المسعودى فى الخلاصة النقية فى أمراء افريقيا ص 38 ــ 39 . لما مات العبيدى قام بعده ابنه القائم أبو القاسم محمد فاظهر الحزن الشديد على موت أبيه ، ولم يزل قاهرا الى أن ثار عليه أبو يزيد صاحب الحمار مخلد ابن كيداد اليفرينى وأبوه كيداد من بلد توزر . وكان من خبره أنه ظهر بجبل أوراس داعيا الى الحق آخذا بالحسبة منكرا مذهب العبيدى ، وقد أنكره جميع الافارقة ، فاستمال الناس باظهار السنة ، وتسمى شيخ المؤمنين ، وزحف لافريقيا بجنود من البربر ووالى الهزائم على جيوش القائم الى أن هلك القائم حزنا وغما .

قتل أبى عبد الله وأخيه أبى العباس وأبى زاكى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتق شر من أحسنت اليه » ، وأكبر دليل على أن العبيدى من الاشرار انه كان مختفيا يتنقل من مكان الى آخر ، وقد سجن فى آخر المطاف . وجاء أبو عبد الله الشيعى فتنازل على ملكه الذى استولى عليه بحرب ضروس وأجلسه على سرير الملك ومكنه من الابهة ما لم يكن يحلم به . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « أبت النفس الخبيثة أن لا تخرج من الدنيا حتى تسىء لمن أحسن اليها » .

لم يقض عليه وحده وانما أمر بقتل أخيه أبى العباس وزكرى . ولم يكتف بهؤلاء وانما ذهب الى أكثر من ذلك حارب كتامة الذين مهدوا له الملك بحرب طاحنة خاضوها مع دولة بنى مدار بسجلماسة (تفيلالت) ودولة بنى رستم بتيهرت ، ودولة بنى الاغلب بالقيروان .

قال الباجى المسعودى :

أن الداعى أبا عبد الله الشيعى أنكر سيرة المهدى وذكر أنه غلط فى تقديمه وأنه غير الامام المنتظر ونما ذلك لعبيد الله فقتله هو وأخوه أبا العباس فى مستهل ذى الحجة من سنة 298، فكتب الى الشرق يقول أما بعد فقد علمتم محل أبى عبد الله وأخيه أبى العباس من الاسلام فاستزلهما الشيطان فطهرتهما بالسيف والسلام . وذكر المقريزى فى صفحة 67 ما نصه : قال ان المهدى لما استقامت له البلاد باشر

الامور بنفسه وكف يد أبى عبد الله وأخيه أبى العباس . وعظم على أبى العباس الفطام على الامور والنهى والاخذ والعطاء فاقبل يزرى على المهدى .

كان أبو سعيد الجنابى فيلسوفا ملعونا ملك البحرين والاحساء وادعى فيها أنه المهدى دخل مكة وقتل الناس فى المسجد الحرام ومنع الناس من الحج وقلع الحجر الاسود وراح به الى الاحساء وقال فى ذلك شعرا .

ولو كان هذا البيت لله ربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا حججنا حجة جاهلية مجللة لم تبق شرقا ولا غربا
واذا تركنا بين زمزم والصفا جنائز لا تبغى سوى ربها ربا

وكان دخوله مكة لعنه الله سنة (سبعة عشر وثلاثمائة) وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا لعنه الله . اهـ بنصه . وقد حارب الصليحى المجاهد ابراهيم ابن قيس الخضرمى رحمه الله واستولى على اليمن واتخذ حضر موت عاصمة ملكه وله ديوان كله دعوة لمحاربة الصليحى . ورأيت بالمكتبة الوطنية بباريس كتابا كله طعن فى الروافض تحت اسم : « اليمانيات المسلولة على الروافض المخذولة) رقم 1462 .

قام أبو العباس فى مجلس أخيه أبى عبد الله ولامه قال له ملكت أمرا فجئت بمن أزالك عنه ، وكان الواجب عليه أن لا يسقط حقك وما زال به حتى قال للمهدى : لو كنت تجلس فى قصرك وتتركنى مع كتامة آمرهم وانهاهم لانى عارف بعاداتهم لكان ذلك أهيب لك فى أعين الناس . وأخذ أبو العباس يسر الى المقدمين بما في نفسه

ويقول : ما جازاكم على ما فعلتم بل أخذ هو الاموال من أبا كجان ولم يقسمها فيكم وكل ذلك يبلغ للمهدى وهو يتغافل حتى قال أبو العباس ان هذا ليس بالذى كنا نعتقد طاعته وندعو اليه لان المهدى يأتى بالآيات الباهرة ، فأثر ذلك فى قلوب كثير من الناس حتى أن بعضهم من كتامة واجه المهدى بذلك وقال ان كنت المهدى فاظهر لنا آية فقد شككنا فيك . وبلغ المهدى ان أبا عبد الله قد اتفق مع أخيه بجماعة من كتامة على قتله فأخذ المهدى فى تفريق القوم فى البلاد ، وكان كبيرهم أبو زاكى تمام ابن مغارك الانكجانى فسيره واليا على طرابلس ، وكتب الى عاملها سرا بقتله عند وصوله فلما وصل أبو زاكى قتله العامل وأرسل برأسه الى المهدى ، وأخذ حينئذ فى قتل الجماعة ، وأعد رجالا لابى عبد الله وأخيه أبى العباس فلما وصلا الى قرب القصر حمل القوم على أبى عبد الله فقال لا تفعلوا فقالوا : ان الذى أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك . فقتل هو وأخوه فى اليوم الذى قتل فيه أبو زاكى ، وذلك يوم الاثنين للنصف من جمادى الاخرة (سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة) . وثارت فتنة بسبب قتلهما وجرد أصحابها السيوف فركب المهدى وأمن الناس فسكنوا ، ثم تتبعهم حتى قتلهم وخالفت عليه كتامة فبعث اليهم ابنه أبا القاسم فقاتلهم حتى هزمهم ، وقتل منهم خلقا كثيرا وخالفت عليه أهل صقلية فانفذ اليها وقتل من أهلها وخالف عليه أهل تيهرت فغزاها وتتبع بنى الاغلب بالقيروان فقتل منهم جماعة برقادة اهـ. ذكر د. جمال الدين سرور الاستاذ بجامعة القاهرة فى كتابه « الدولة الفاطمية

بمصر » ما نصه ص 35 . على الرغم من أن الدولة الفاطمية تدين بظهورها لابى عبد الله الشيعى فان عبيد الله المهدى لم يلبث ان عمل على التخلص منه لان أبا عبد الله كان موضع ثقة كثير من الكتاميين كما علت مكانته بين أهالى بلاد المغرب مما أثار حنق عبيد الله المهدى عليه فخشى أن يفتتن به الناس فيضعف بذلك نفوذه . لذلك أمر بقتل كل من أبى عبد الله وأخيه العباس فى جمادى الاخرة سنة 298 هـ ، أثار حادث مقتل أبى عبد الله الشيعى أهالى بلاد المغرب فثارت طرابلس واشتبك الكتاميون مع أهل القيروان غير ان عبيد الله ما لبث ان تمكن من اخماد تلك الثورات ، ثم عهد عبيد الله الى ولده أبى القاسم فبعثه على رأس حملة لمحاربة الكتاميين فقاتلهم وأوقع بهم الهزيمة اهـ بنصه . وقديما قيل :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله
يلاقى الذى لاقى مجير أم عامر

اظهار العبيديين الكفر وارغام الناس عليه

قال ابن عذارى : لما دخل عبيد الله القيروان أمر ان تقلع من المساجد والمئاجل والقصور والقناطر اسماء الذين بنوها وكتب عليها اسمه ، وأظهر عبيد الله مذهبه القبيح وسب أصحاب النبىء صلى الله عليه وسلم وأزواجه حاشا على ابن أبى طالب وأربعة معه ، وزعم أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ارتدوا بعده ومنع ان يفتى بغير مذهبه منه سقوط الحنث عمن طلق البتة واحاطة البنات بالميراث وأشياء كثيرة يطول ذكرها . ومدحت الشعراء عبيد الله بالكفر

فاستجازه ، وكان فيما مدح به شعر **لمحمد** بن البديل كاتب **أبى فضاعة** .

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح
حل بها أحمد المصفى حل بها الكبش والذبيح
حل بها الله ذو المعالى وكل شىء سواه ريح

لعنه الله وغضب عليه وأخزى القائل والمقول فيه . وكانت كتامة فى يمينها تقول وحق عالم الغيب والشهادة مولانا المهدى الذى برقادة حتى كتب بعض أهل القيروان هذين البيتين وتلطفوا فى وصولهما اليه من حيث لا يعلم :

بالجور والظلم قد رضينا وليس بالكفر والحماقة
ان كنت أوتيت علم غيب بين لنا صاحب البطاقة

فاشتد ذلك عليه لما وصل اليه وكشف سرا عن كاتب ذلك فلم يقع له على خبر اهـ (25) .

أورد ابن عذارى بعض أبيات تدل على ما كان يستحله ويجوز عنده من الكفر :

لئن عظم الحرام وما يليه
كما عظمت مشاهده العظام

لقد عظمت بأرض الغرب داره بها الصلوات تقبل والصيام
هى المهدية الحرم الموقى كما بتهامة البلد الحرام
كان مقام ابراهيم فيه نرى قدميك ان عدم المقام
وان لثم الحجيج الركن أضحى لنا بعراص قصركم التثام (26)

(25) ابن عذارى البيان المغرب . ج 1 ص 220 ـ 221 .
(26) نفس المصدر ص 258 .

يقول ابن عذارى أن عبيد الله وجه جماعة الى الاطراف لاظهار مذهبه ونشره منهم منيب بن سليمان قال لهم أن وجدوا الناس محتملين له ومغضبين عليه نشروه عند العامة وأظهروه ، فلما كشف منيب بجبل وانشريس ما أمره به عبيد الله كان الرجل يدخل الى حليلة جاره فيطأها وزوجها ينظر اليه ، ثم يخرج فيبصق فى وجهه ويصفع قفاه ويقول له تصبر فاذا صبر عد كامل الايمان فقام عليهم الناس وقتلوا بعضهم فكفوا اهـ (27) . يقول ابن عذارى بعث عبيد الله أحد قواده أبو معلوم فحلون الكتامى الى جبل أوراس فكلف أهله فوق وسعهم وأمرهم برفع عيالاتهم الى المهدية فأظهروا الطاعة وشرعوا فيما أمرهم به فلما كان فى بعض الليالى وثبوا عليه وعلى جند كتامة الذين معه فقتلوهم أجمعين (28) وقد ضرب الفقيه محمد بن العباس المهدى بالدرة فى جامع القيروان عريانا لانه يفتى بقول الامام مالك وصفع على قفاه حتى جرى الدم من رأسه وطيف به فى الاسواق (29) . ولما ولى أبوه القاسم بن عبيد الله بعد موت أبيه أظهر مذهبه وأمر بسب الصحابة وغير ذلك من تكذيب كتاب الله . قال ابن عذارى لما وصل عبيد الله الى رقادة أرسل الى القيروان من أتاه بأبى اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بابن الفرزدق وبابن هذيل وكانا من العلماء الخاشعين لله ، فلما وصلا اليه وجداه على سرير ملكه جالسا وعن يمينه أبو عبد الله الشيعى

(27) ابن عذارى البيان المغرب ، ج 1 ص 291 .
(28) نفس المصدر ، ص 263 .
(29) ابن عذارى البيان المغرب ، ج 1 ص 265 .

وعن يساره أخوه أبو العباس ، فقال لهما أبو عبد الله وأخوه اشهد أن هذا رسول الله . فقالا معا بلفظ واحد (والله الذى لا اله الا هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره . وينطقان ويقولان أنه رسول الله ما قلنا به) فأمر عبيد الله عند ذلك بذبحهما وربطهما الى أذناب الخيل وأن يطاف بهما فى القيروان ففعل بهما ذلك رحمة الله عليهما (30)

قال ابن عذارى : وخرج شيخ فى دولة بنى عبيد الله للسفر ومعه خيل فأتوا فى المسجد بخيولهم فقيل لهم : كيف تدخلون خيولكم المسجد ؟ فقال لهم الشيخ وأصحابه أن روثها وأبوالها طاهرة لانها خيل المهدى . فقال لهم القيم بالمسجد : ان الذى يخرج من المهدى غير طاهر فكيف الذى يخرج من خيله فقالوا له : طعنت على الهدى ، وأخذوه وذهبوا به اليه فأخرجه عشية يوم الجمعة فقتله . وهذا دليل على هوان الدنيا على الله وصغر قدرها عنده اذ مكن فيها لهؤلاء الكفرة الفجرة يسومون أولياء الله سوء العذاب (31) . قال ابن عذارى : ان الحجر الاسود أرسله اللعين الجنابى الى عبيد الله بالمهدية ولما مات لم يستقر فى قبره . فقيل لابنه أبى القاسم ان هذا لاجل الحجر الاسود فرده (32) . وكان مدعى النبوءة وصوت المؤذن بذلك فوق صومعة القيروان فضج المسلمون من ذلك وهذا بعد موت أبى يزيد (33) . قال ابن عذارى

(30) ابن عذارى البيان المغرب ، ج 1 ص 408 ـ 409 .
(31) البيان المغرب ، ج 1 ص 410 .
(32) المصدر نفسه ، ص 411 .
(33) المصدر نفسه ، ص 412 .

أرسل العبيديون داعيا الى مكة فلما طلع المنبر وذكر ما ذكر اقتحم عليه الناس فقطع قطعة . ثم أرسلوا رجلا آخر من خرسان من بنى عمهم فضرب الحجر الاسود بدبوس العبيدى الملقب بالحاكم فقتل من حينه وأخذه الناس قطعة قطعة وأحرق بالنار . وأرسلوا لعنهم الله الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من ينبش قبره العظيم فسمع الناس صائحا يقول : (القبر ينبش ففتشه الناس فوجدوه وأصحابه فقتلوهم وجعل أحدا داعيا يدعو الناس لعبادته وكتب كتابا ذكر فيه تعالى الله عن ابطال المبطلين علوا كبيرا الحمد لمولاى الحاكم وحده باسمك اللهم الحاكم بالحق ، ثم تمادى فقال توكلت على الاهى أمير المؤمنين جل ذكره وبه نستعين فى جميع الامور ، ثم طول الكتاب فمرة يجعله أمير المؤمنين ومرة يجعله الاله وذكر أشياء يطول ذكرها (34) . وأرسل من كتب فى أستار الكعبة سب الصحابة فى ليلة ظلماء فأصبح الناس فوجدوه فضج المسلمون لذلك وأكثروا البكاء لسب الصحابة رضى الله عنهم (35) . (ذهب جميع علماء المذاهب حتى الشيعة يشكون لابى يزيد) .

وقد قتل العبيدى كثيرا ممن رفضوا الدخول فى مذهبه (36) . وكان دعاته ومن والاهم يقسمون (وحق عالم الغيب والشهادة مولانا المهدى الذى برقادة) .

قال قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد المعتزلى الهمذانى المتوفى سنة 415، وكان صغيرا ايام ابى يزيد ما نصه حين مات

(34) البيان المغرب ، ج 1 ص 313 .
(35) نفس المصدر ، ص 314 .
(36) تاريخ الدولة الفاطمية ص 328 .

سعيد الذى تسمى بعبيد الله قام ابنه أبو طاهر فقال الناس هذا أكفر من أبيه ، وقد أظهروا بأرض المغرب شتم نبى العرب وأصحابه فقالوا ألعنوا عائشة وبعلها ولعنوا جميع الانبياء وأظهروا الباطل كله وبعثوا الدعاة الى سعيد (وهو العبيدى) انه اله حق وأنه هو الذى فتق ورتق وأمات وأحيا ونكحوا البنات حتى كان مثل أبى الاسود وأبو طاعة من الدعاة قد نكحوا بناتهم حتى ذهب الناس جميعا حتى الشيعة الى أبى يزيد مخلد بن كيداد وهو من الشراة وشكوا اليه ذهاب الاسلام بهؤلاء المشارقة قالوا وان كان من الشراة فليس ينكر الربوبية ولا يكذب الرسل ولا يلعن الانبياء ومعه حفظ الاموال ، فساروا معه الى بعد موت أبيه فانفذا اليهم عسكرا بعد عسكر فمازال يهزمهم الى أن وافي باب المهدية فأغلق بابه دونهم فأخذ الحلقة بيده وهو شيخ كبير لا يمكنه لعجزه وكبره أن يركب فرسا فكان يركب حمارا فحاصر ابن سعيد فى المهدية مع عساكره فمات فى حصاره فرق أمنه فقام اسماعيل ابنه من بعده وحاصرهم صاحب الحمار حتى أكلوا براذينهم وحتى ذلوا له وخضعوا ، وقد دوخهم خمس سنين واستولى مع عجزه وضعفه على أكثر ممالكهم الى أن تمت حيلته عليه . وقال الامام الذهبى فى صفحة 162 من تاريخ الاسلام ما نصه : بويع القائم بعد موت أبيه عبيد الله سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة ، وقد خرج عليه سنة اثنين وثلاثين مخلد ابن كيداد وكانت بينهما وقائع مشهورة وحصره مخلد بالمهدية وضيق عليه واستولى على بلاده فعرض للقائم وسواس واختلط عقله ومات فى تلك الحال فى شوال وله

خمس وخمسون سنة . وقام بعد موته ولده المنصور بالله أبو طاهر اسماعيل ولده . وكان القائم شرا من أبيه المهدى زنديقا ملعونا . ذكر القاضى عبد الجبار أنه أظهر سب الانبياء عليهم السلام ، وكان ينادى ألعنوا الغار وما حوى وقتل خلقا من العلماء وكان يراسل أبا طاهر القرمطى الى البحرين وهجر ويأمره باحراق المساجد والمصاحف ، ولما كثر فجوره اجتمع أهل الجبال على رجل من الاباضية يقال له مخلد بن كيداد ، وكان شيخا لا يقدر على ركوب الخيل فركب حمارا وكان وزيره أعمى فاجتمع معه خلائق فسار فحصر القائم بالمهدية ، وكان مخلد أعرج يكنى أبا يزيد وهو من زناتة قبيلة كبيرة من البربر ، وكان تنسك يلبس الصوف ويركب حمارا ولا يثبت على الخيل ، وكان نافذ الامر فى البربر زاهدا دينا خارجيا قام على بنى عبيد والناس على فاقة وحاجة لذلك فقاموا معه وأتوه أفواجا ففتح البلاد ، ودخل القيروان فتحير منه المنصور وتحصن بالمهدية التى بناها جده ونفر مع مخلد الخلق والعلماء والصلحاء منهم الامام أبو الفضل الممسى والعباس بن عيسى الفقيه وأبو سليمان ربيع القطان وأبو العرب ابراهيم بن أحمد قال القاضى عياض فى ترجمة العباس بن عيسى هذا وركب أبو العرب وتقلد مصحفا وركب الفقهاء بالسلاح وشقوا القيروان وهم يعلنون بالتكبير والصلاة على النبىء صلى الله عليه وسلم والترضى على الصحابة وركزوا بنودهم عند باب الجامع وهى سبعة بنود فيها لا اله الا الله ولا حكم الا لله وهو خير الحاكمين وبندان أصفران لربيع القطان فيهما نصر من الله وفتح قريب . وبند مخلد بن كيداد

فيه اللهم انصر أولياءك على من سب نبيئك . وبند أبى العرب فيه قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله . وبند أصفر لابن النصر الزاهد فيه قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم . وبند أبيض ـ فيه محمد رسول الله أبو بكر الصديق محمد رسول الله . وبند أبيض لابراهيم بن محمد فيه : **الا تنصروه فقد نصره الله** ، الآية . وحضرت الجمعة فخطبهم أحمد بن أبى الوليد وحض على الجهاد ، ثم ساروا ونزلوا المهدية اهـ بنصه .

وقتل الدعاة فقال للعامة من سمعتموه يلعن الانبياء فاقتلوه وأنا من ورائكم واذا للفقهاء والمحدثين وخضع للعامة وزعم ان الذى كامن الدعوة ومن المنشدين كان بغير علم أبى ولا علم جدى وخفف الخراج وأظهر الشغل بالفقه (37) ، ولما مات أبو يزيد أظهر الاستخفاف بالدين (38)

قال قاضى القضاة وكان لهؤلاء الباطنية مجالس التغذية يجعلون لكل شىء باطنا ويقولون أليس الله قال : حرمت عليكم الميتة ونحن وأنتم لا نأكل لحم الذبيحة حتى تموت ولا نأكل السمك حتى يموت وانما معنى هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد مات وحرام أن تقام شريعته وينبغى أن يمتثل أمر العزيز مولانا الذى هو حجة الله ، وهذا أعلم الخلاصة وأما الفقهاء الحمير وأهل الظاهر لا يعرفون هذا ويقولون لطائفة أخرى ما عليكم صلاة ما دام فى الدنيا لكم عدو يمنعكم من التمكن فى الارض فان الله يقول : **(الذين ان مكناهم**

(37) تثبيت دلائل النبوة . ج 2 ص 391 ـ 392 .
(38) نفس المصدر ونفس الصفحة .

فى الارض أقاموا الصلاة وآتـوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) ، ثم يقولون لمن يثقون بـه لا يحرم عليه أمه ولا بنته ولا أخته ولا خمر ولا زنا ولا خنزير ولا لواط ولا ربا ولا شيء البتة ، وأنه لا يحل لك أن تمنع أخاك ، ومن هو مثلك فى البلاغ السابع والعلم الباطن من زوجتك فانه تحل له كما تحل لك والاشتراك فى الزوجات كالاشتراك فى الطعام والكريم هو الذى تنكح زوجته بحضرته كما يـؤكل طعامه بحضرته، وقد قال افلاطون الغيرة شح في الطبيعة (39). وقال أيضا أنهم يأخذون العهود على الناس ويحلفونهم بالايمان الغليظة فاذا حطوا على ذلك قالوا لهم اياكم ومجالسة الفقهاء واياكم وفقـه أبى حنيفة ومالك والتورى والحسن البصرى وامثالهم ، فانهم كفرة والرشد كله فى خلافهم واذا عمى على أحدكم الصواب فلينظر ما عليه الفقهاء فيعمل بخلافه فانه يصيب الحق (40) .

قيـام أبى يـزيد بثورته العـارمة

لمـا ضج المسلمون مـن مظالم العبيديين وكفرهم وحمل المسلمون على الكفر والفتك بالعلماء وهتك الاعراض طلب المسلمون عـلى اختلاف مذاهبهم من اباضية ومالكية وحتى الشيعة (41) من أبى يزيد القيام بالثورة ـ يقول ابن عذارى :

(39) تثبيت دلائل النبوة ، ج 2 ص 596 .
(40) تثبيت أدلة النبوة ، ج 2 ص 595 .
(41) قاضى القضاة دلائل النبوة ، ج 2 ص 391 .

كان أبو القاسم الشيعى لما مات أبوه عبيد الله أظهر مذهبه وأمر بسب الصحابة وتكذيب كتاب الله فمن تكلم عذب وقتل واشتد الامر على المسلمين ، ثم أن أبا يزيد هبط من جبـل أوراس يدعو الى الحق فرجوا فيه الخير والقيام بالسنة (42) . وقال ابن عذارى وفى سنة 332 اشتد أمر أبى يزيد بافريقيا حتى فر أمامه أبو القاسم الى المهدية من رقادة وتسمى شيخ المؤمنين . قال ابن سعدون : لما اشتد ظلم أبى القاسم بعـث الله عليه مخلد بن كيداد فقهره وقتل جنوده وقام المسلمون معـه وخرج الفقهاء والعباد مـع أبى يزيد لحـربه وسماهم ابن سعدون فى كتابه رجلا رجلا فركبوا معـه ونهضوا الى القيروان فدخلها فى صفر سنة 332 هـ 943 م ، وأظهر لاهلها خيرا وترحم على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ودعى الناس الى الجهاد جهاد العبيديين وأمرهم بقراءة مذهب الامام مالك فخرج الفقهاء والصلحاء فى الاسواق بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وأزواجه حتى ركزوا بنودهم عند الجامع فلما كان يـوم الجمعة اجتمعوا بالمسجد الجـامع وركبوا مع أبى يزيد بالسلاح ومعهم البنود والطبول منهـا بندان أصفران مكتوب فى أحدهما البسملة ومحمد رسول الله ، وفى الآخر نصر من اللـه وفتح قريب على يد الشيخ أبى يزيد اللهم انصر أولياءك على مـن سب نبيئك وبنـد آخر مكتوب فيـه قاتلوا أيمة الكفر الامة ، وبند آخر فيـه قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وبند

(42) ابن عذارى البيان المغرب ، ج 307 .

آخر مكتوب فيه بعد البسملة محمد رسول الله أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وبند آخر وهو السابع فيه لا اله الا الله محمد رسول الله الا تنصروه . فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه (لا تحزن ان الله معنا) . فلما اجتمع الناس وحضر الامام وطلع على المنبر خطب خطبة أبلغ فيها وحرض الناس على الجهاد وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب ، ثم لعن عبيد الله وابنه ، ثم خرج الناس معه للقتال فلم يزل قاهرا لهم غالبا عليهم لجنودهم حتى لم يبق لهم من بلاد افريقيا الا اليسير (43) وفى كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان مخطوط بمكتبة الجزائر رقم 2161 ص 94 ـ 120 ما نصه :

العلماء الذين نفروا مع أبى يزيد من المالكية

الامام أبو الفضل المسى والعباس بن عيسى الفقيه وسليمان ربيع القطان وأبو العرب التميم وابراهيم بن محمد وقد تكلم عليه القاضى عياض والذى خطب للجهاد فى القيروان أحمد بن أبى الوليد يوم الجمعة فاستشهد مع ربيع القطان والتنسى والعشا منقول ومنقول من تاريخ الاسلام لابى عبد الله محمد الذهبى الى أن قال : صفحة 120 . وبخروج أبى يزيد مخلد بن كيداد ومن معه على بنى عبيد أحسنوا السيرة مع الرعية وتهذبوا وطووا ما يرمونه من اظهار

(43) ابن عذارى البيان المغرب ج 1 . ص 308 ـ 309 .

مذهبهم الخبيث وساسوا ملكهم وقنعوا باظهار الرفض والتشييع اهـ . وأورد فصلا فى فصل القيروان من جملة ما قال فيه : فضائل القيروان كثيرة شهيرة يخرجنا تتبعها عن الاختصار . وقد قال (أبو القاسم الفزارى) فى قصيدة له طويلة كان أنشدها بين يدى أبى يزيد الخارجى بمحضر علماء القيروان يستعطفه بها لمحاربة بنى عبيد فانشد فى ذلك قصيدة أخذتها من المخطوط بصورة فوتغرافية :

فهل للقيروان وساكنيها عديل حين يفتخر الفجور
بلاد حشوها علم وحلم واسلام ومعروف وخير
عراق الشرق بغداد وهذى عراق الغرب بينهما كثير
ولست أقيس بغداد اليها وكيف تقاس بالسنة الشهور
بلاد تقصف الجبار قصفا اذا ما رامها منهم غدور
بلاد خطها أصحاب بدر وتلك اخط تربتها أمير
بناها المستجاب وقد دعا فى جوانبها دعاء لا يبور
بناها كل يدرى كريم كان صفاح أوجههم بدور
هم صلوا لمسجدها براحا وليس لها جدار مستدير
هم وضعوا لها أسسا وساسا مقدسة المواضع والصخور
وقادهم الاذان اليه حتى أضاء لهم من المحراب نور
ولم يسبقهم ملك ظلوم لتأسيس ولا ملك كفور
وأصحاب النبى لهم بنات ولا عصيان ثم ولا فجور
أقاموا شطر قبلتها سويا الى البيت العتيق فلم يجوروا

لما دخل اسماعيل بن أبى القاسم بن عبيد الله الى القيروان بعد أن قتل أبا يزيد مخلد بن كيداد طلب أبا القاسم الفزارى

هذا فاختفى أبو القاسم هـذا ولجـأ الى أبى اسحاق البياتى وذكرها يخاف على نفسه من القتل فقال له ما قصدك بقصيدتك قال وجه الله تعالى قال له الله قال نعم قال اذهب فانه لا يلحقك مكروه فساروا به الى اسماعيل فلما مثل بين يديه قال لـه انشدنى قصيدتك الرابية فانشده اياها فلـما فـرغ منهـا حرضه بعض أشياخه عـلى قتلـه فاعرض عنـه واذن لـه بالانصراف ولم يعرض له بمكروه اهـ بنصه . وقد أورد هذه القضية ابن الدباغ فى معالم الايمان (44) وقال وقد هجـا أبو القاسم الفزارى الشاعر بنى عبيـد فانشدها فى مجلس ضم علماء المالكية يستعطف بها أبـا يزيد ولمـا سمـع بها اسماعيل بن أبى القاسم العبيدى طلبه فدعا له أبو اسحاق البياتى فاجيبت دعوته ولـم ينلـه سـوء (45) قال البكرى (الاخوان) منزل بين القيروان والمهدية وفى هذا المنزل قتل أبو يزيد ميسرة الفتى قائد أبى القاسم سنـة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة (46) قال على بن ظفر يمدح أبا يزيد :

هذا وكم من وقعـة مشهورة أبقيتها مثـلا لكـل ممثـل

بثينة الاخوين يـوم تركتهم متوسدين وسائدا مـن جندل

(44) ج 3 ص 19 ـ 20 .

(45) معالم الايمان ، ج 3 ص 86 .

(46) المغرب فى ذكر بـلاد المغرب ، ص 31 لابن عذارى البيان المغرب ، ج 1 ص 309 .

أبو يـزيد مخلـد بن كيـداد
جهاده ونجاحه فى تأسيس دولـة اباضية بعـد بنى رستـم

مقـدمـة

اضطهاد العبيديين للمالكية والاباضية فى الشمال الافريقى

فى سنـة ثلاثمائة وسبعة عشر هجرية قتـل العبيديون عروس المؤذن المتعبد وسبب قتله أنـه كان يؤذن فى مسجد عباس الفقيه صاحب سحنون فشهد عليه بعض المشارقة أنه لم يقـل فى آذانه حى على خـير العمل فقطع ـ لسانه وسمل عينيه وطيف به بالقيروان ثم قتل بالمرضاخ (47) وقد كلف المهدى العبيدى اسحاق بن أبى المنهال القاضى من قضاة العراق بتعذيب العلماء واهانتهم وكان رجل سوء امتحن على يديـه جماعة من العلماء ـ والصلحاء المدنيين فضرب بعضهم وحبس بعضهم فدخل على عبيد الله الشيعى وذكر له أبا جعفر أحمد ابن نصر الهوارى البويرى يفتى بمذهب مالك ووجه اليـه وسجنه بالمهدية تسعة أشهر ، وكان يقول حبست فى بيت الدم مـع السراق وأصحاب الدماء ، وكنت أخرج فى كـل جمعة يتفقد قيدى أقمت على هذا شهرين ، ثم أخرجت بعد ذلك من ذلك البيت الى البيت الذى يحبس فيه جميع الناس . واللـه ما سرقت ولا زنيـت ولا جنيـت ولا كان ذلك الا على محبة صاحب القبر والمنبر صلى الله عليه وسلم (48) . وهذا ما وقع لى مـع بعض العلماء ابان ثـورة التحـرير . وممـن نالـه

(47) المصدر نفسه ص 31 .

(48) الجزائر من معلم الايمان ، ج 3 ص 6 .

التعذيب أبو بكر محمد بن محمد بن اللباد الفقيه المالكى أحد مشائخ أبى محمد بن أبى زيد امتحن من أشياع بنى عبيد فسجن ثم أطلق ومنع الفتوى والاستماع واجتماع الطلبة عليه حتى توفى ، وكان أبو محمد بن أبى يزيد وأبو محمد بن التبان يأتيان اليه فى خفية ، وربما جعلا الكتب فى أوساطهما حتى تبتل بأعراقهما خوفا من بنى عبيد أن ينالوهم بمكروه وأصل محنته أنه صلى على جنازة ، وقد حضر ابن أبى منهال القاضى بجنازة أخرى فصلى أبو بكر فصلى وراءه ابن أبى منهال وقدمت الجنازة الاخرى وصلى عليها ابن أبى منهال فجلس أبو بكر ومد رجليه واستدبر القبلة ولم يصل وراءه فشق ذلك على ابن أبى منها فبعث وراءه ودار بينهما كلام فى ذلك فأمر بسجنه فسعى له عند عبيد الله بالمهدية حتى أمره أن يكتب الى أبى المنهال باخراجه من السجن على أن لا يفتى ولا يجتمع اليه أحد ولا يفتى الا بمذهب السلطان، وقل له اذا مرضت فلا تعاد وبقى كذلك لا يسمع الا خفية فاذا اجتمعوا فتحت لهم الخادم الباب فيدخلون وتغلق عليهم فيقرأون ، وكان منهم أبو محمد بن أبى يزيد وأبو محمد بن الثبان . وازاء اضطهاد العبيديين للعلماء ومحاولة حملهم على اتباع مذهبهم اجتمع علماء المالكية بالقيروان وفكروا فى الخلاص من ظلم العبيديين فقرروا استدعاء أبى يزيد مخلد بن كيداد ، وقد أعلن الثورة على العبيديين فقدم اليهم فطلبوا منه أن ينظموا اليه للجهاد فى سبيل الله دفاعا عن عقيدة الاسلام فانشد الفزارى قصيدته المشهورة أمامه استنهاضا فقبل منهم ذلك واتفقوا على أن يقوم أبو الفضل عباس بن عيسى بن محمد

ابن عيسى المسمسى بالدعوة للجهاد يوم الجمعة بالمسجد الجامع بالقيروان وهو من هو فى علمه وتقواه ، وكان أحد مشائخ أبى محمد بن أبى يزيد ومن جملة ما قال فى خطبته الخروج مع أبى يزيد الخارجى وقطع دولة بنى عبيد فرفض لان الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم الاسلام يرثون ويورثون وبنو عبيد ليسوا كذلك لانهم مجوس زال عنهم اسم الاسلام فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون اليهم (49) قال أبو الحسن ابن الحلاف سمعت أبا الفضل يقول قتالهم أفضل من قتال المشركين فقال له أبو عبد الله الفقيه الاجدابى لابى الحسن أنت سمعت هذا من أبى الفضل فقال نعم وقبله المالكى وهو بين لانهم كفار متصلون ببلاد الاسلام ويحكمون بما يريدون من ضرب وقتل أو سجن أو غير ذلك بخلاف كفار منفصلين عن بلاد الاسلام . وعندما مات أبو الفضل رثاه أبو محمد ابن أبى يزيد (50). وقد عوتب الفقيه ربيع القطان وهو ممن كانت له حلقة بجامع القيروان يحضرها كبار العلماء مثل أبى القاسم بن شلون فى خروجه مع أبى يزيد الى حرب بنى عبيد فقال وكيف لا أفعل ، وقد سمعت الكفر بأذنى فمن ذلك انى حضرت اشهادا ، وكان فيه جمع كبير أهل سنة ومشارقة (51) . وكان بالقرب منى أبو الفضاعة الداعى فأتى رجل مشرقى من أهل الشرق ومن أعظم المشارقة فقام اليه رجل مشرقى وقال الى ها هنا يا سيدى الى جانب رسول

(49) المعلم ، ج 3 ص 34 .
(50) المعالم ، ص 35 .
(51) يطلق هذا الاسم على الروافض .

الله صلى الله عليه وسلم يعنى أبا فضاعة الداعى ويشير بيده اليه فما أنكر أحد شيئا من ذلك فكيف ينبغى أن أترك القيام عليهم . ووجد بخط ربيع القطان لما كان رجب سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة قام الصبى المكوكب يقذف الصحابة ويطعن على النبى صلى الله عليه وسلم وعلقت عظام أكباش وحمير وغيرها على أبواب الحوانيت والدروب فاذا عليها قراطيس معلقة فيها أسماء يعنون بها رؤوس الصحابة رضوان الله عليهم ، فلما رأى ذلك ربيع لم يسعه التأخر عن الخروج عليهم وكذلك كان جميع الشيوخ يتناولون أبا اسحاق السبائى وغيره ، ولما اجتمعوا للخروج عليهم قال ربيع القطان أنا أول من يشرع في هذا الامر ، ويخرج فيه ويحرض المسلمين ويحثهم عليه وسارع جميع الفقهاء والعباد لذلك ، فلما كان بالغد خرج ربيع وجماعة الفقهاء ووجوه التجار الى المصلى بالسلاح الشاك والعدة العجيبة التى لم ير مثلها وضاق بهم الفضاء وتواعد الناس أن ينظروا فى الزاد وآلة السفر الى يوم السبت وذلك يوم الاثنين وركب بعض الشيوخ من الموضع الى الجامع بالسلاح وشقوا السماط بالقيروان وزادوا فى استنهاض الناس ، فلما كان يوم الجمعة اجتمعوا فى الجامع وركبوا بالسلاح الكامل وحملوا البنود والطبول وأتوا بالبنود فركزوها قبالة المسجد المعروف بالحدادين ، وكانت سبعة بنود الاول أصفر لربيع القطان مكتوب عليه البسملة ومعها لا اله الا الله محمد رسول الله ، وفى الثانى لابى الربيع وهو اصفر أيضا نصر من الله وفتح قريب على يد أبى يزيد اللهم انصره على من سب نبيك ، وفى الثالث وهو أصفر أيضا لابى الربيع

بعد البسملة : قاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون . وفى الرابع وهو بند أحمد لابى الفضل عباس المسى : لا اله الا الله محمد رسول الله ، وفى الخامس وهو بند أخضر لمروان العابد بعد البسملة : قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . وفى السادس وهو بند أبيض بعد البسملة ـ لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق وعمر الفاروق . وفى السابع وهو لابراهيم العشبا وكان أكبر البنود لونه أبيض : لا اله الا الله محمد رسول الله الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . فلما اجتمع الناس وحضرت صلاة الجمعة طلع الامام على المنبر وهو (أحمد بن محمد ابن أبى الوليد) ، وكان أبو الفضل المسى هو الذى أشار به وخطب خطبة أبلغ فيها حرض الناس على الجهاد وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب وتلا هذه الآية : « **لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر** » . وقال : يا أيها الناس جاهدوا من كفر بالله وزعم أنه رب من دون الله وغير أحكام الله عز وجل وسب نبيه وأصحاب نبيه وأزواج نبيه فبكى الناس بكاء شديدا وقال فى خطبته : اللهم هذا القرمطى الكافر الصنعانى المعروف بأبى عبد الله المدعى الربوبية من دون الله جاحدا لنعمتك كافرا بربوبيتك طاعنا على أنبيائك ورسلك مكذبا بمحمد نبيك وخيرتك من خلفك سائلا لاصحاب

أبو الحسن القاسمى : فلما تلاقوا للقتال أقبل ربيع وهو يطعن فيهم ويضربهم وهم يتوقفون عن طعنه طمعا أن يأخذوه حيا فلما أثخنهم بالضرب والطعن عمد اليه جماعة منهم فقتلوه وأدير برأسه فى طرابلس وما تولوا دفنه رحمة الله عليه واستشهد معه أئمة وعباد صالحون وذلك خمسة وثمانون رجلا ، وقال أبو الحسن القاسمى عن شيوخه الذين أدركهم ان الذين ماتوا فى دار البحر بالمهدية من حين دخل عبيد الله الى الآن أربعة آلاف رجل فى العذاب ما بين عابد وعالم ورجل صالح ، ولذلك يقول سهل الوراق :

وأحل دار البحر فى أغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات

قال أبو الحسن ابن سعيد الخراط الفقيه لما بلغنى أن الفقهاء قد تجمعوا فى الجامع فى تدبير الخروج الى المهدية فى أيام أبى يزيد بكرت الى الجامع فأصبت أبا العرب محمد ابن أحمد التميمى المؤرخ (53) وأبا الفضل الممسى وربيع القطان وأبا اسحاق السائحى ومروان بن نصر وغيرهم جلوسا عند المنبر فتكلموا فى الخروج على بنى عبيد فاختلفوا وتناظروا حتى قال أبو العرب ابن تميم اسكتوا فسكت الناس فقال : حدثنى عيسى بن مسكين عن محمد بن عبد الله الجرجانى باسناده الى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : يكون آخر الزمان قوم يقال لهم الرافضة فاذا أدركتموهم فاقتلوهم فانهم كفار فلما أتم الحديث كبر الناس وعلت

(53) له عدة مؤلفات منها طبقات علماء افريقيا ، وكتاب التاريخ فى سبعة عشر جزءا .

نبيك وأزواج نبيك أمهات المؤمنين سافكا الدماء دماء أمته منتهكا لمحارم أهل مكة افتراء عليك واغترارا بحلمك اللهم فالعنه لعنا وبيلا واخزه خزيا طويلا واغضب عليه بكرة وأصيلا واصله جهنم وساءت مصيرا بعد أن تجعله فى دنياه عبرة للسائلين وأحاديث للغابرين وأهلك اللهم متبعه وشتت كلمته وفرق جماعته واكسر شوكته واشف صدور قوم مؤمنين منه . ونزل فجمع الجمعة ركعتين وسلم وقال : ان الخروج غدا يوم السبت ان شاء الله وركب (ربيع القطان) فرسه وعليه آلة حرب وفى عنقه المصحف وحوله جمع من الناس من أهل القيروان متأهبون معتدون لجهاد أعداء الله عليهم آلة الحرب فنظر اليهم ربيع القطان فسر بهم وقال : الحمد لله الذى أحيانى حتى أدركت عصابة من المؤمنين اجتمعوا لجهاد أعدائك وأعداء نبيك ، يا رب بأى شىء وصلت الى هذا ، ثم أخذ فى البكاء حتى جرت دموعه على لحيته ثم قال : والله لو رآكم محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا لسر بكم . وكان ممن خرج على بنى عبيد فقتل (52) وقطع رأسه وأتى به الى أبى القاسم بن عبيد الله فى طشت فلما كشف عنه فتح الرأس عينيه وفمه فقال أبو القاسم أبعدوه عنى وقال أبو بكر المالكى : استشهد ربيع القطان رحمه الله يوم الاثنين فى صفر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقيل أن الممسى استشهد معه فى يوم واحد وقيل بينهما مدة ستة أشهر ، فكان غرض المجوس بنى عبيد أخذ ربيع حيا ليتشفى منه قال الشيخ

(52) المصدر ، ص 4 .

أصواتهم فى الجامع اربح . ثم خرجوا لقتال بنى عبيد ولم يتخلف من الفقهاء والصلحاء أحد (54) . وممن ناله اضطهاد العبيديين من كبار علماء المالكية محمد بن الفتح المرجى فانه كان يخرج الى المقبرة ويتستر بحائط يقرأ على أصحابه هناك للخوف من بنى عبيد لانهم منعوا من بث العلم وسجنوا العلماء فى دورهم (55) وممن نالـــه التعذيب أبو اسحاق ابراهيم ابن محمد القصرى مات فى السجن بدار البحر من أجل كلمة حق فى دين الله قالها ، وذلك سنة أربـع وثلاثين وثلاثمائة (56) . وممن كان له موقف مشرف فى أيام بنى عبيد أبو عبد الله محمد بن أبى المنصور ، أجبره الامير اسماعيل العبيدى على القضاء فاشترط عليه أن لا يأخذ لهم صلة ولا يركب لهم دابة ولا يقبل شهادة من طاف بهم أو قاربهم ولا يركب اليهم مهنيا ولا معزيا فأجابه لهذا اسماعيل وقبل شرطه ، وقال له اذا لم تأخذ صلة فمن أين تعيش ؟ قال : بما أعيش به الآن . قال : فما تركب وأنت شيخ كبير ، قال : الجامع قريب مـــن دارى . وممن قتله بنو عبيد (أبو عبد الله محمد بن اسحاق الجبلى) . ولى قضاء برقة لاسماعيل العبيدى ، وكان ابن الكافي عاملا عليها فقال له ابن الكافى ان غدا العيد فقال القاضى : ان رأى الهلال الليلة كان ما قلت والا فلا يمكننى أن آمـــر الناس بالفطر فى يوم رمضان وأتقلد ذنوبهم فقال له : بهذا وصنى كتاب مولاى يعنى اسماعيل فالتمس الناس الهلال فلم

(54)طبقات علماء افريقيا لابن العرب التميمى .
(55) المصدر 47 .
(56) نفس المصدر ص 49 .

يروه فاصبح العامل الى القاضى بالطبول والبنود وهيئة العيد فقال القاضى والله لا أخرج ولا أصلى ولا أفطر فى يوم مـــن أيام رمضان ولو غلقت بيدى . فمضى العامل فجعل من خطب وصلى . وكتب بما جرى الى مولاه فلما وصل اليه الخبر أمر برفع القاضى فلما وصل الى القيروان قال له : اما أن تتصل بنا ونعفو عنك أو نفعل بك ما قلت فامتنع من الدخول فى دعوته وقال افعل ما شئت ، فنصب له صاريا عند الباب الاخير من أبواب الجامع وعلق بيده اليـــه فى الشمس فأقام كذلك ضامئا فى شدة الحر يومه وليلته ، فلما كان الغد مات ولسانه خارج من العطش وهو يطلب من يسقيه الماء فلم يسق خوفا مـــن عامل البلد ، فلما مـــات أخذوه وصلبوه (57) . ومـــن تعسفهم أنهم امتحنوا أبا محمد عبد الله بن هاشم أحد تلاميذ محمد بن سحنون ثلاثة سنين على يـــد محمد بن عمر المرودى ابن أبى الوليد وأرادوا قتله فنجاه اللـــه منهم ، وكان عالما صالحا (58) . وممن دعى لمحاربة العبيديين أبو ابراهيم أحمد ابن محمد الحـــاكم بالقيروان أيـــام أبى يزيد ، وذلـــك أن أبا يزيد خير أهل القيروان من ينصبونه لاحكامهم الشرعية فاتفقوا (59) على ابن أبى الوليد لدينه وفضله ، وكان أيضا يتولى الصلاة والخطبة بالجامع الاعظم بالقيروان ، وكان خطيبا بليغا ورجلا صالحا عدلا فى أحكامه (60) ، ومن جملة ما وقع

(57) المعالم ج 3 ص 61 .
(58) المصدر 71 .
(59) تأمل فى عدل الرجال وانصافه ونصرته للدين .
(60) المصدر ص 75 .

أن أبا القاسم الفزارى الشاعر ألقى قصيدة أمام أبى يزيد حرضه فيها على محاربة العبيديين وهجاهم فطلبه السلطان اسماعيل ليقتله فلجأ الى السبائى وهو فزع خائف وقال له : أنت تعلم ما يراد بى فقام الشيخ فدخل خزانه واقبل يدعو ، ثم قال لابى القاسم امض اشتر غذاءك وادخل الحمام وامض اليه فلن ترى شيئا تخافه قال أبو القاسم فخرجت من عنده ففعلت ما أمرنى به من دخول الحمام ووثقت نفسى بقوله ودعائه ، ثم مضيت الى السلطان فدخلت عليه فقال بعض من فى المجلس يأمرك السلطان أن تنشد ما قلت فى أيام أبى يزيد فتوقفت عن ذلك وخفت فقال انشدوا له الامان فانشدته القصيدة الرابية (61) . فلما فرغ من انشادها لم يتعرض له اسماعيل بسوء ، فلما خرج من بين يديه قام أحد الجنود من بين يدى اسماعيل فاخترط سيفه ليقتل أبا القاسم ، فقال له اسماعيل : مالك قال : اضرب عنقه فقال : قد أمناه والا كان هنا فى حين آتانا وانصرف .

وممن جاهر بالعداوة لبنى عبيد العالم الجليل أبو محمد عبد الله بن اسحاق ابن الثبان كان شديد البغض لهم قال بعض أصحابه كنت معه يوما بالمنستير فى يوم عاشوراء فلما رأى جمعهم بكى فقيل له ما يبكيك فقال والله ما أخشى عليهم من الذنوب لان مولاهم كريم ، وانما أخشى عليهم أن يشكوا فى كفر بنى عبيد فيدخلوا النار (62) . وكان له موقف مشرف

(61) المصدر ص 86 .
(62) المعالم . ج 3 ص 113 .

لما اشتد عبد الله ابن محمد صاحب القيروان على العلماء ليشرقهم (63) فطلب أبا سعيد بن هشام وأبا محمد بن الثبان وأبا القاسم بن شيلون وأبا محمد بن أبى يزيد وأبا الحسن القاسى فاجتمعوا فى دار أبى محمد بن أبى زيد ، فقال لهم الثبان أنا أمضى اليه وأكفيكم مؤونة الاجتماع به فكانت له معهم مناظرة (64) . ولولا خوف الاطالة لاوردناها (65) وجمع أبو العباس القادر علماء النسب والعلويين والقرشين فأجمعوا على أن العبيديين ليسوا من قريش ولا من غيرهم من العرب ، وانما هم من ذرية ميمون بن القداح من يهود سليمة وكتبوا بذلك عقودا مشهودة وادركت من بلدنا من كان ينسب اليهم فكان شيخنا ابن عبد السلام يشير ويصرح بهذا — الطعن فى نسبهم وهذا ما قاله ابن عرفة .

قال ابن عذارى : لما ولى أبو القاسم لم يزل فى شغل وحزن لموت أبيه وبعث الله عليه أبا يزيد مخلد بن كيداد فقهره وخرج عليه وقتل جنوده وقام المسلمون معه ، ولما كان يوم الجمعة طلع الامام على المنبر وهو أبو ابراهيم أحمد بن محمد فخطب خطبة بليغة وحرض الناس على الجهاد ، ثم قال لهم اللهم ان هذا القرمطى الكافر المعروف بعبيد أدعى الربوبية من دون الله جاحدا لنعمتك كافرا بربوبيتك فانصرنا اللهم عليه وأرحنا منه ومن دولته واصله جهنم وساءت مصيرا بعد أن تجعله فى

(63) يعنى ليعتنقوا مذهب الروافض .
(64) المصدر ص 113 .
(65) المصدر ص 188 .

دنيـاه عبرة للسائلين وأحاديث فى الغابرين وأهلـك اللهم شيعته وشتت كلمته . ومات أبو القاسم بن عبيد الله محسورا وفى نفسه مقهورا (66) .

قال قاضى القضاة ما نصه : ولكثرة ما كان من جور العبيدى وقتله للناس ونهبه للاموال أجتمع قوم من أهل الجبل بالمغرب عـلى رجل من الاباضية يقال لـه أبو يزيد مخلد بن كيداد فبايعوه ، وكان شيخـا كبـيرا ضعيفا لا يمكنه لضعفـه أن يتمسك عـلى فرس فكان يركب حمارا ، وكان لـه وزيـر يستشيره أعمى فانفذ اليه هذا الذى تسمى بالقائم بن المهدى بعسكر فكسره ورده وتسامع بـه الناس وانـه ينكر المنكر فاجتمعوا اليه وأتوه وسار مـن الجبل الى الامصار ولقيـه العساكر فكسرها كلها ودخل افريقيا وأزال الظلم والمكوس وملك كل ما كان بايدى هؤلاء القرامطة من أرض المغرب الى المهدية فانه حاصرهم فيها ومـات هذا المتسمى بالقائم فى الحصار ، وعرض له وسواس وزال عقله مما نزل به من الذل وقتل الرجال وزوال الملك وجوع مـن بقـى معـه بالمهدية بالحصـار (67) .

قـال ابن عذارى وفى سنة 307 قتـل بالقيروان عبدوس المؤذن بمسجد ابن عباس بعد أن ضرب بالسياط وقطع لسانه اذ شهد عليه قوم من المشارقة أنه أذن ولم يقل حى على خـير العمل . وكان مـن المتزهدين يطحن بيـده ويعمل الحلفـاء

(66) ابن عذارى ، ج 2 ص 412 .
(67) تثبيت دلائل النبوءة ، ج 2 ص 602 .

ويتعيش من ذلك (68) . ثم قتل على بن محمد من ذرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه حكمه عبيد الله وحبسه ، ثم خنق حتى مات (69) . قال لـه ابن عذارى كـان أحمد البلوى النخاس بالرقيق يصلى الى رقادة أيام كون عبيد الله فيها وهى منـه فى الغرب ، فلما انتقل عبيد الله الى المهدية وهى فى الشرق صلى اليها وكان يقول لست ممن يعبد من لا يرى ، وكان يقول لاهل القيروان فى عبيد الله أنه يعلم سركم ونجواكم فتقرب اليه رجل يوما وهو يقول ذلك فأخذ أذنه ونطق فيها عبيد الله الذى تقول زان ابن زانية فان كان يعلم ما قلت لك فلينتصر فصاح صيحة عظيمة ، وقال يا مسكين انه حلـيم لا يعجل ، وكذلك كان ابراهيم بن غازى يأكل فى شهر رمضان جهارا ويرتكب الكبائر ، وكان فى أيام الاغلب من المتزهدين حتى كان أهل سوسة أراد تقديمه لصلاة الجماعة (70) .

لمـا عزم أبو يزيد الخروج بعد سنة من المشاورة مـع من يهمهم الامر ورأى أن جميع الناس سواء من كان بتونس أو بالجزائر أو بالصحراء وسـواء منهـم المالكية أو الاباضية كمتقدم ، وجمع قوته فى جبل أوراس منبـع الثورات حيث قبائل زناتة الذى هـو منهم وجميعهم اباضية بنو يفـرن ومغراوة وهوارة وبنو واسين . وكان مكرما فى جبل أوراس اذ ذاك فكر أبو القاسم فى الخلاص من هذا الثائر المجمع عليه من الشعب كله ورأى أنه يجب أن يحاصره فى جبل أوراس

(68) البيان المغرب ، ج 1 ص 256 .
(69) المصدر نفسه ص 259 .
(70) نفس المصدر ص 261 .

حتى لا يتصل بالناس وكلهم مستعد لنصرته فبعث جيشا عظيما فحاصره فى الجبل ففك الحصار بأعجوبة . وقد أفلت من سجن توزر بأعجوبة كما تقدم كما ذكر ذلك الدرجينى فى كتاب الطبقات وكتاب أبو زكريا فى السير ، وكتاب (كشف الغمة فى تاريخ الائمة) . وذلك أنه لما أظلم الليل أمر بخمسمائة ثور شد بكل قرن ثور حزمة حلفاء ، وفى ذنبه أخرى وأمر بخمسمائة رجل من أصحابه من ذوى النجدة والبأس وأخذوا سلاحهم واستاق كل رجل منهم ثورا حتى اذا قربوا من المعسكر ، أطلق كل رجل منهم نارا فى حلفاء ثوره فلما أحست الثيران حرارة النيران ركضت وخاضت العسكر والرجال فى ساقتها بالسيوف مسلطة يضربون بها كل من أدركوه من العسكر . فانهزموا وأبو يزيد وأصحابه يقتلونهم حتى قتلوا عددا كبيرا ، ولما أصبح عرض أبو يزيد عسكره فعرض فى اثنى عشر ألف فارس ممن صار اليه من عسكر العبيدى خاصة ممن كانوا فى جند عدوه بالامس وصار فى طلب عسكرهم فتسامعت به القبائل فجاءته من كل مكان وطار اسمه فى الآفاق فاجتمعت اليه عساكر عظيمة حتى عدوا فى عسكره ألف ألف أبلق فيما قيل ، ومعه جماعة من مزاتة ، وقد عدوا المشهور من خيله ألفا (71) . وعند تنظيم حكومته بالاوراس كان يعينه أبناؤه الاربعة الذين أصبحوا خيرة قادته مع شيخه أبى عمار ، وذلك سنة 332 هـ 943 م (72) . ولما فك حصار أوراس ونزل الى باغاى أين تجمعت قوات

(71) دائرة المعارف الاسلامية 1960 مادة أبى يزيد .
(72) الطبقات ، ج 1 ص 99 .

العدو واستولى بسرعة البرق على المدن والقرى لانهم كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر ، فاستقبل استقبالا فى تبسة ومر ماجنة ومجانة ، ووجه جيشا الى الجريد فاستولى عليه (73) .

قال الدرجينى فتح المدن والقرى حتى افتتح الساحل كله وأقبل يريد قسطيلة التى منها خرج فافتتحها (74) ، وأقبل نحو القيروان ولما سمع أبو القاسم باقبال أبى يزيد اليه بجنود لا قبل لهم بها خرج يريد المهدية (75) ، ولما سار الى رقادة مركز العبيدى ونزل عليها بمائتى ألف مقاتل (76) ، وأقبل أبو يزيد الى القيروان فاستقبله العلماء والصلحاء وأعيان البلدة استقبالا رائعا تقدم تفصيله كما رواه صاحب معالم الايمان ، وابن عذارى وأبو بكر المالكى وغيرهم كثيرا ولكن الغريب أن الكثير بعد أن أتوا بتفاصيل عن ملاقات علماء المالكية به والاستقبال الرائع الذى قابلوه به ناقضوا أنفسهم فذكروا أنه حاصر القيروان وحاربهم الخ ... مع أنهم قالوا فر أمامه أبو طاهر العبيدى من رقادة الى المهدية ، وهذا تناقض غريب ومن المعقول أنهم يشوهون التاريخ تزلفا للدولة الحاكمة . ورحم الله قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد حيث أورد تاريخ ثورة أبى يزيد ، لم يذكر فيها شيئا مما نسب اليه من الفواحش زورا وبهتانا لانه لم يكن تحت حكم العبيديين وان كان فى عصرهم ولا داعى اذا لتشويه

(73) طبقات الدرجينى . ص 100 .
(74) دائرة المعارف الاسلامية 1960 .
(75) الطبقات . ج 1 ص 99 .
(76) نفس المصدر ص 100 .

الحقيقة والعجب من بعض الباحثين فى هذا العصر الذى بنى فيه البحث على التمحيص والتعميق لتظهر الحقيقة . استسلموا للاكاذيب التى حاول العبيديون أن يستروا بها جرائمهم ، فانهالوا بالشتم والكذب على أبى يزيد شأن من لم يقدر لـه النجاح . وفيما كتبه قاضى القضاة عبد الجبار عن أبى يزيد أكبر صفعة للذين تقبلوا كل ما نسب اليه من النهب والسلب والقتل كذبا وزورا فى كـل بلدة دخلها ، فهلا ذكروا اسما واحدا قتله من غير جيش العبيديين لان من كان عادته القتل الجماعى لابـد وأن تكون أسماء بعض الاعيان معروفة كما عرفت أسماء العلماء والفقهاء الذين فتك بهم العبيديون . وأما النهب والسلب فقد نفاها قاضى القضاة فيما تقدم .

اتصـال أبى يزيد بأمراء الاندلس

قال ابن عذارى : وفى سنة 333 فى منسلخ شوال قدم على الناصر رسول من أبى يزيد مخلد بن كيداد القائم بافريقيا على أبى القاسم اسماعيل العبيدى برسالة منه يخبره بتغلبه على القيروان ورقادة وعملهما ، وايقاعه بأصحاب العبيدى فيها وما يعتقده من ولاية الناصر وانتمائه اليه من اعتناقه امامته واتصلت كتب أبى يزيد ورسله على قرطبة من ذلك الوقت الى حين وفاته ، وفى سنة 334 جلس الناصر لـدى ابنـه لوداع رسل أهل القيروان الواردين عليه من قبلهم وقبل أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرينى الناصح بأرض افريقيا محتسبا فى جهاده ملوك المنتزى على افريقيا من آل عبيد اللـه الداعى ، وكان له فى القيام عليهم وقائع شنيعة فوصلوا الى الناصر فى

ذلك اليوم وهم ثلاثة نفر وجههم تميم بن أبى العرب التميمى فكلمهم بما تقتضيه رسالتهم . ودفع اليهم أجوبة من ارسلهم وأذن لهم فى الانصراف الى بلدهم ووصلهم وكساهم فانطلقوا لسبيلهم (77) .

صلتـه بالناصر الامـوى متواصلة

قال ابن عذارى وفى سنة 335 وصـل الى قرطبة أيـوب ابن أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرينى الاباضى رسولا من والده أبى يزيد فقعد له الناصر قعودا ـ وأوصله الى نفسه وكرم لقاءه وأمر بانزاله فى قصر الرصافة ، وقد أعد له من الفرش والغطاء والآنية والآلـة ما يعـد لامثاله فأقام هناك بين نزل واسع وكرامة موصولة (78) . وذكر ابن خلدون أن أبا يزيد لما وصل الى القيروان بعث رسله فى وفد من أهـل القيروان الى عبـد الرحمن الناصر الاموى صاحب قـرطبة ملتزما لطاعته والقيام لدعوته وطالبا المـدد فرجعوا اليـه بالقبول والوعد ، ولم يزل يردد ذلك سائر أيامه حتى أوفد ابنـه أيوب آخر سنـة 35 ، فكان له اتصال بالناصر وسائر أيـامه (79) .

---

(77) البيان المغرب ، ج 2 ص 318 ـ 319 .

(78) البيان المغرب ، ج 2 ص 321 .

(79) ابن خلدون ، ج 7 ص 30 .

أبو يزيد يؤسس دولة اباضية بعد انتصاراته ونقـوده الذهبية المسكوكة باسمه بوارجلان موجودة بمتحـف القـيروان

ان الانتصار الباهر الذى حققه أبو يزيد باستيلائه على كـامل الوطن التونسى والجزائرى ، والـذى أدى الى موت أبى القاسم محمد القائم محصورا بالمهدية ، كما تقدم مكنته من تأسيس دولة اباضية بالعاصمة الثانية لدولة بنى رستـم وارجلان ، فأسس دولة اباضية بتأييد من عبد الرحمن الناصر لدين الله الاموى ، وكان مواليا له كما تقدم . وفى سنة 1966 توصلت الحفريات بنواحى القيروان الى اكتشاف زير به 300 قطعة ذهبية مسكوكة باسم أبى يزيد مخلد بن كيداد بسبك ممتاز وكتابة واضحة فوقع للباحثين الاشكال فى أى مكـان كان سبكها فنشرت جريدة العمل التونسية مقـالا فى هـذا الموضوع فأجبتها بما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله .

الجزائر يوم 14 الجمعة جمادى الثانى 30 سبتمبر 1386 هـ 1966 م .

فضيلة المحترم مدير جريدة العمل الغراء حفظه اللـه . سلام وتحية واحترام وبعد ـ فاننى قرأت بجريدتكم الغراء فى صفحة القيروان دراسة وافية عن متحف القيروان ، أكبرت عمل الحكومة التونسية فى حفظ آثار الاجداد والاسلاف ، بارك الله فيكم وجزاكم عن الاسلام وقاعدة الاسلام بالشمال الافريقى خـيرا .

وعند الكلام على النقود الذهبية المسكوكة باسم أبى يزيد مخلـد بن كيداد ذهـب الاستاذ الشابى الى أنهـا مسكوكة بالاندلس لان الاحوال فى ذلـك العصر سيئـة بالقيروان ، ولا يمكن أن تكون مسكوكة به ، ورجـح الكاتب أن تكـون مسكوكة بالقيروان ، وحيث أن التاريخ لا ينبنى على ترجيح فكرة أو تأييد نظرية ، وانما يستمد من الواقع ، وقد تناولت مصادر التاريخ فى القديم هذه النقطة بالذات فتكلم عليها صاحب نزهة المشتاق بوضوح ، كما نص عليه الشيخ أبو بكر يحيى بن ابراهيم المالكـى القيروانى فى تـاريخه (مختصر رياض النفوس) وهو مخطوط فى أربعة أجزاء موجود فى مكتبة شيخ الاسلام حكمت بالمدينة المنورة . قال ما معناه : انه فى عام 333 هجرية ، عندما اندلعت الثورة الاباضية بالشمال الافريقى ضـد الفاطميين وانضمت الجماهـير المالكيـة الى الاباضية بأمر مـن علماء المالكية بالقيروان تهيأت الاسباب للاباضية أن يكونوا دولـة تعوضهم عن دولـة بنى رستم ، فاستعدوا لذلك بجميع الوسائل حتى أنهم استجلبوا الذهب من السودان وضربوا النقود باسم رئيسهم أبى يزيد مخلد ابن كيداد الاباضى بوارجلان مـن صحراء الجـزائر وأنتـم تعلمون أن العائلة المالكة لـدولة بنى رستـم عنـد انقراض دولتهم التجأوا الى صحراء وارجلان فراجعوا مصادر التاريخ للتأكد من الواقع أبقاكم اللـه للحقيقة ونشر ما انطوى من تراثنا المجيد .

تقبلوا فائق احترام أخيكم ابن يوسف سليمان .

صندوق البريد 804 ـ الجزائر العاصمة .

هذه الرسالة نقلتها بنصها ، وهذه النقود الذهبية موجودة الآن فى متحف القيروان لمن أراد أن يطلع عليها .

بالمكر والخداع توصل أبو طاهر للفتك بأبى يـزيد

لما مات القائم محصورا بالمهدية وتولى بعده ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور كتم خبر وفـاة والده ، ولم يغير شيئا مـن رسوم الخلافة كالسكة والخطة والبنود (80) ، وبقى محتارا كيف الخلاص مما وقع فيه حتى كاد يموت كمدا أو غما مثل أبيه . وأشار عليه أبو الحسن بن عمار وأعانه فى التخطيط ضد أبى يزيد حتى ظهر عليـه (81) . والآن أظهـر حقيقة أخفاها الكثير من المؤرخين تزلفا للحكومة القائمة ، وذلك أن المنصور اسماعيل وجد أمامه الابواب موصدة ، وقد عجزت قوته عن المقاومة حاول أن يوقد نار الفتنة بين صنهاجة وزناتة سكان البلاد حتى يتنفس ، وهو يعلم أن الصراع بينهما على السلطة قديم ومتمكن ، ولكن أنى له ذلك ما دام أمامهما عدو مشترك يحاول ارغامهما على الخروج مـن الدين والانسلاخ من عقيدتهم الاسلامية فعمد أولا تمهيدا لغايته فأصدر أوامره باقامـة الشريعة الاسلامية والانتقام مـن الدعاة وتتبعهم بالقتل ، وانه عازم عـلى تعزيز الشريعة الاسلامية واتباع أوامر اللـه واجتناب نواهيه ، وفعلا أصدر أوامـره بذلك خداعا ، وفتح الباب بهذه للمفاوضة مع صنهاجة واغرائهم

(80) ابن خلدون ج 4 ص 43 ابن خلدون ج 4 ص 89 الكامل ج 8 ص 455
(81) قاضى القضاة تثبيت دلائل النبوة . ج 2 ص 292 .

بجميع الوسائل من الهدايا ووعدهم بالتمكين من السلطة ان قضوا على عدوه الاكبر وهو أبو يزيد ، ومن السهل عليه بعد ذلك أن يرجع الى الكفر والالحاد والزندقة وارغام الناس على ذلك كما كان يفعل أبوه وجده . وما موقفه الاول من تأييد الاسلام وتمكين الفقهاء والعلماء مـن الحرية الا نوع مـن أساليب الخداع والنفاق ، وسأنقل ما قاله العلماء الاجلاء فى الموضوع مع قلة المصادر لان بعضها مثل مؤلفات أبى العرب التميمى الذى عاش تلك الاحداث قد أبيدت ، وكذلك مؤلفات ابن الرقيق والباقى يخشون على أنفسهم الموت . فان العبيديين يقصدون القضاء على كل من يشتم فيه رائحة عـدم الرضاء بمبادئهم وقد سبق ذكـر بعض جرائم القتل التى قابلوا بها العلماء وما أكثرها . انهم باظهارهم الاسلام استجابت لهـم صنهاجة خصوصا والمنافسة بينهم وبين بنى عمومتهم زناتـة متمكنة ، فقد نص على ذلك كثير من المؤرخين تعرضوا باسهاب الى منافسة صنهاجة وزناتة على السلطة فى مختلف العصور ولا أدل عـلى هذا مـن اعتراف باديس بن حبوس بذلك فى رسالة بعث بها الى أبى اسحاق محمد بن عبد اللـه البرزالى يقول فيها : كنـا فى بلادنا نتصارع عـلى السلطة ونتقاتل لاجلـها . أمـا الآن ونحـن بالانـدلس فى بـلاد النـاس يعتبروننا جميعا غرباء يجب أن نتعاون مـع بعضنا ونضم جهودنا ، فان اعتدى عليكم أحد فانا مستعد لنجدتكم ، وان تعـدى علينا أحـد فكونوا مستعدين لنصرتنا (82) . والآن أنقل الى القارىء الكريم بعض النصوص فى رجوع اسماعيل

(82) مذكرات باديس بن حبوس أمير غرناطة .

العبيدى للاسلام وانقلابه فيما بعد ، وانقل محاولته لاستمالة صنهاجة واغرائهم بجميع الوسائل حتى يتضح جليا ما شاع من أن أبا يزيد انقلب عنه الناس وكرهوه لانه أباح الفسوق والفجور والنساء الى غير ذلك من الاكاذيب ـ اذ ليس من المعقول أن يكون من أول عمر مستقيما وفقيها يقوم بنشر العلم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى اذا شاخ وعجز ، حتى عن ركوب الخيل أن ينقلب تماما عما كان عليه من حسن السيرة الى فساد الاخلاق والانحلال والفسوق الخ .. وما موقف المشائخ الذين معه مثل الشيخ عبد الحميد عمار الاعمى وكيف ننسب اليه هذه الافعال القبيحة ، وقد كان صديقا حميما لاحد علماء الاباضية وزميلا له فى الدراسة وهو الشيخ سليمان بن زرقون الذى سد الفراغ الذى تركه موت كثير من العلماء فى واقعة مانو ، وهل يقبل عاقل أن يواصل ولداه الفضل وأيوب جهاده بعد موته وتنصاع لهم الناس مع ما نسب لابيهما ، وهل من المعقول أن يواصل عبد الرحمن الناصر أمير الاندلس مساندته لهما بعد موت أبيهما وهو من هو فى الدفاع عن الاسلام والغيرة على مبادئه ، فلا يمكن بحال من الاحوال أن يصدق بما نسب اليه وأن العبيديين لما أطلقوا العنان لاكاذيبهم لم يجعلوا لها ميزانا ، ولا حدا حتى أن البعض من أكاذيبهم تعلن عن نفسه بداهة انها مختلفة وقد تنزه بعض العقلاء عن نشرها لا شفقة عن أبى يزيد ولا ترفعا عن نشر الكذب ولا احتراما للواقع ، ولكن لظهور أنها مختلفة بداهة ، ولا بأس أن نورد قطعة صغيرة من النوع الذى لا يقبله حتى الابله .

قال (التيجانى) وهو المعروف بعدائه للاباضية والكذب عليهم ما نصه : كان يفعل فى الاسلام أشد مما يفعل فى الحرب ، وأباح لرجاله أن يفعلوا ما شاؤوا فكانوا يقتلون وينهبون ولا يرحمون شيخا هرما ولا طفلا صغيرا كما أطلقوا لشهواتهم العنان فاعتدوا على شرف النساء والفتيات ، وكذلك كان يقول (ابن حماد فى أخبار ملوك بنى عبيد) .

قال قاضى القضاة : أظهر اسماعيل بعد موته أبيه الرجوع الى الاسلام ، وقتل الدعاة ونفى بعضهم فقال للعامة من سمعتموه يلعن الانبياء فاقتلوه وأنا من ورائكم وأذن للفقهاء والمحدثين وخضع للعامة وزعم أن الذى شكا من الدعوة ومن الناحية وعن المعتدين كان بغير علم أبيه ولا علم جده ، وأظهر الشغل بالفقه (83) . وقال أيضا ما نصه : لما مات القائم أبو القاسم فى الحصار وعرض له وسواس وزال عقله مما نزل به من الذل ، وقتل الرجال وزوال الملك وجوع من بقى معه بالمهدية بالحصار ، وقام بعده ابنه أبو طاهر اسماعيل وضمن للناس تغيير سيرة أبيه وجده ، وأنه لا يتعرض لديانتهم ، وحلف على ذلك وأكد وأشهد واستعان بأبى الحسن عمار . فأشار عليه بهذه الامور واشتغل اسماعيل بأهل الجبال يقتلهم خوفا أن يثوروا عليه مثل أبى يزيد ، وتقدم اسماعيل الى الفقهاء بان يتركوا له حلقة فى الجامع خاصة يقعد فيها أصحابه تكون حلقة لجعفر بن محمد ، فجلس جماعة لا يختلطون بالفقهاء وكانوا يتذاكرون فى حلقهم ذكر

(83) تثبيت دلائل النبوءة ص 392 .

أفلاطون وبطليموس وأرسطو . فقال الناس هؤلاء ملاحدة وزنادقة وأعداء الانبياء فكيف تكون هذه الحلقة حلقة جعفر ابن محمد ، واذا نية اسماعيل غير صادقة وصافية فى الاسلام وانما أظهر الرجوع عن سيرة أبيه خوفا مما جرى . ثم أن اسماعيل استخلف ابنه أبا تميم فقرب الدعاة فقال هذا هو المهدى وهو الذى يملك وهو الشمس التى تطلع من غربها ، واتفق أن الروم أخذت تغير على المسلمين من طرسوس وغيرها فى أيامه واحتوت عليها فاشتد طمعه فى الاسلام وسره المصائب التى نزلت بالاسلام والمسلمين وبلغه أنه قد كتب على المساجد ببغداد لعن خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فطار سرورا بهذا وطغى وتجبر اهـ بنصه (84) . وقال أيضا أن الباطنية لما غلبوا شتموا الانبياء وعطلوا الشرائع وقتلوا الحجاج والمسلمين حتى أفنوهم واستنجوا بالمصاحف والتوراة والانجيل ، هذا ما وقع بالاحساء ، وكذا صنع من كان منهم برقادة والقيروان بأرض المغرب الى أن قام عليهم أبو يزيد مخلد بن كيداد بمن معه وحاربهم خمس سنين ، فلما انكشف أمر أبى يزيد عمن بالمغرب كفوا عن المكاشفة للعامة بشتم الانبياء وتعطيل الشرائع وصاروا يخدعون الناس سرا وينقلونهم عن الاسلام بالحيل من حيث لا يشعرون شيئا فشيئا (85) . قال ابن عذارى لما مات أبو القاسم ولى ابنه اسماعيل فأظهر للعامة الجميل ، فلما استفحل أمره وقويت

(84) تثبيت دلائل النبوءة ، ج 2 ص 603 ـ 604 .
(85) تثبيت دلائل النبوءة ، ج 1 ص 107 .

شوكته انقلب وأراد أن ينتقم من المسلمين فحال الله عز وجل بينه وبين ما أراد . وأجاب دعاء المسلمين فيه فاهلكه الله بالعطش حتى مات (86) . وكذلك قال ابن النديم (87) لما قام اسماعيل بتهدئة الافكار والرجوع الى الاسلام خداعا كما تقدم بعث الى زيرى بن مناد وقومه يدعوهم لنصرته ويعدهم بأن يوليهم على بلادهم ، وفعلا ولاهم على أشير وأعمالها وأغدق عليهم الهدايا والاموال الشىء الكثير كما بعث الى جعفر بن على الاندلسى بهدايا وولاه امسيلة وأعمالها . قال ابن خلدون : أكرمه ووصله كما يجب له وقد بعث اليه ، فلما قدم عليه أكرمه وعقد له على قومه وعلى سائر بلادهم ، ولما رحل الى القيروان خلع على زيرى بن مناد ورهطه وضم اليه تيهرت واستقام أمر العبيديين ، وقد ولوا زيرى بن مناد على أشير وأعمالها وعلى مسيلة وأعمالها جعفر بن على الاندلسى وضم اليه الزاب ، ثم كانت العداوة والمنافسة بين جعفر الاندلسى وبين زيرى بن مناد ، مما أدى بجعفر أن مال بعسكره الى زناتة وناهضهم زيرى الحرب ، فكانت عليه من أمراء زناتة فكبا به فرسه فطاح فقصوا رأسه وبعثوا به مع جماعة من زناتة الى الحاكم المستنصر فكرم الحاكم وفادتهم ونصب رأس زيرى بسوق قرطبة وأسنى جوائز الوفد .

وحاول أن يفكك وحدة زناتة قوم أبى يزيد فبعث بهدايا فاخرة الى أحد رؤسائهم وهو (محمد بن خزرامير مغروة) ،

(86) ابن النديم الفهرست 265 .
(87) البيان المغرب ، ج 1 ص 412 .

ووعده بعشرين حملا من المال فأجابه بالقبول (88) . لكن خالفه أخوه (سعيد) بن خزر وانضم ومعه قومه الى أبى يزيد فواصلوا الحرب ضد اسماعيل (89) . وواصل سعيد الحرب مع أبى يزيد الى أن هلك وقبض اسماعيل بعد ذلك على سعيد سنة 40 . فقتله ونصب رأسه فى القيروان وتحيز أخوه محمد ابن خزر الى الناصر الاموى وولاه على المغرب الاوسط وعظمت آثار محمد بن خزر لما نقض دعوة العبيديين وقتل أتباعهم وحدثت الفتنة بين صنهاجة ومغراوة واشتغل محمد بن خزر وابنه الخير بحروبهم (90) .

موت أبى يزيد مخلد بن كيداد

مات أبو يزيد فى احدى المعارك واختلفت الروايات على أنه ألقى عليه القبض وهو مثخن بالجراح فداواه اسماعيل ، وكانت له معه مفاوضات، ثم أمر بسلخه حيا فمات حين وصلوا الى سرته وألقى عليه القبض وهو ميت ، فأمر اسماعيل بحشوه تبنا واتخذ له قفصا فأدخل فيه مع فردين بلا عبانة وطاف به جميع البلاد (91) .

بربك أيها القارىء الكريم ماذا جنى من عمله هذا الا شيئا واحدا وهو أنه ان دل على شىء فانما يدل على سخافة عقله وعدم ايمانه .

(88) الكامل ج 8 ص 438 .
(89) ابن خلدون ، ج 7 ص 32 .
(90) ابن خلدون ، ج 7 ص 34 .
(91) ابن خلدون ، ج 4 ص 93 ج 347 .

أما أبو يزيد فانه مات شهيدا يدافع عن الاسلام والمسلمين وانه بدون شك سائر الى رحمة الله ، ولولا اخلاص صنهاجة للعبيديين طمعا فى السلطة لقضى عليهم أبو يزيد .

فضل ابن أبى يزيد وأخوه أيوب يواصلان الجهاد بعد موت أبيهم

لما مات أبو يزيد كما تقدم فتح الله للاسلام والمسلمين من ينتقم لهم من أعدائهم . قال ابن خلدون : لما مات أبو يزيد لحق ابنه الفضل سعيد بن خزر وزحف به الى طبنة وبسكرة وأغاروا على ساقة المنصور (92) . وهناك انتفض حميد ابن يزول عامل تيهرت من أوليائهم ، فكانت له معهم حروب . وواصل فضل بن أبى يزيد غاراته على جهات قسطيلة وقصده ومضى فضل الى جبل أوراس (93) . وداخل البربر فى الثورة فحاصر باغاية (94) . وقدم الفضل من القيروان الى أبيه أبى يزيد بعسكر فوجههم الى قتال كتامة ، وقدم عليهم ابنه الفضل (99) . قال ابن الاثير : وكان لابى يزيد ولد اسمه أيوب أخرج معه عسكرا الى تونس فاحتلها وتوجه الى باجة وسمع أيوب بأن (على بن حمدون) يجمع العساكر من المسيلة وسطيف وغيرهما بأمر من القائم وهو بباجة فسار اليه أيوب فكبسه وقتل منهم عددا كبيرا فهرب على بن حمدون ، ثم سير

(92) ابن خلدون ، ج 4 ص 93 ج 347 .
(93) ابن خلدون . ج 7 ص 34 ج 4 ص 94 .
(94) ابن خلدون ، ج 7 ص 944 .
(95) الكامل ، ج 8 ص 427 .

أيوب جريدة خيل الى طائفة مـــن عسكر القائم خرجوا الى تونس فساروا واجتمعوا ووقع بعضهم على بعض ، فكان بين الفريقين قتال عظيم قتل فيه جمع كثير وانهزم عسكر القائم وكان أبو يزيد فى ذلك الوقت بالقيروان ، ثم جمع عسكره وأخرج ابنه أيوب ثانية لقتال على ابن حمدون بمكان يقال له (بلطة) ، فكانوا يقتتلون فمرة يظفر على ومرة يظفـــر أيوب ، وكان على قد وكل بحراسة المدينة من يثق به ، وكان يحرس بابا منها رجل اسمه أحمد فراسل أيوب فى التسليم اليه على مال يأخذه فأجابه أيوب الى ما طلب ففتحه أحمد ودخل أصحابه المدينة وهرب عـلى الى بـلاد كتامـة (96) . قـال ابن خلدون : لما بلغ القائم أن فضل بن أبى يزيد أغار عـلى جهات قسطيلة خرج فى طلبه وهرب فضل الى الرمال ، فلم يقدر عليه ورجع فمضى فضل الى جبـل أوراس سنة ســت وثلاثين ، ثم سار منها الى باغية فحاصرها وغدر به ماطيط ابن يعلى من أصحابه فقتله وجـاء برأسه الى المنصور (97) ، واغتال بعد ذلك عبد الله بن بكار من رؤساء مغراوة أيوب ابن أبى يزيد ، وجاء برأسه الى المنصور متقربا اليه (98) . وقال (ابن باجيـة) قـام الفضـل بن أبى يـــزيد ببعض الاضطرابات فى ناحية قفصة الى أن قتل سنة 336 هـ 947 م . وبقية أبناء أبى يزيد وجدوا ملجأ فى البلاط الاموى بقرطبة

(96) الكامل ، ج 8 ص 432 ـ 433 ابن خلدون ج 4 ص 88 ـ 89 ج 317 .
(97) ابن خلدون ج 7 ص 35 ج 4 ص 94 الكامل ج 8 ص 441 .
(98) ابن خلدون ج 7 ص 35 .

ولم يتم الاستيلاء على أسطول عبد الرحمن الثالث الا فى عهد المعـــز (99) .

دولة أبى يزيد لم تنته بموته ولا بموت أبنائه

قد سبق أن سعيد بن خزر وقومه مغراوة كانوا دائما مع أبى يزيد وابنه الفضل فواصل العمل واستولى بالقوة عـلى ما كان بأيدى أبى يزيد وابنه ، ولم يزل المنصور فى طلبه حتى أخذ فى بعض الوقائع فسيق مع ابنه الى المنصور فطيف بهما فى أسواق المنصورية ، ثم قتلا وذلك سنة احدى وأربعين وثلاثمائة (100) . ولـم يزل محمد بن خزر وابنه الخير مـن مغراوة متغلبان على المغرب الاوسط (101) . وبقيت زناتة متماسكة لـم تخضع لبنى عبيد حتى كانت ســت وأربعين وثلاثمائة صعد المعز لجبل أوراس ، وكان فيها بنو كملان ومليلة وقبيلتان من هوارة وتفاوض معهم ودخلوا معه البلاد وأمر نوابه بالاحسان الى البربر فلم يبق أحد منهم الا أتـاه وأحسن اليهم المعـز ، ومن جملة مـن أتاه واستأمنه محمد ابن خزر الزناتى أخو سعيد فأمنه المعز وأحسن اليه (102) . قال ابن خلدون : وفد محمد بن خزر على المعز بعد مهلك أبيه اسماعيل سنة اثنين وأربعين فأولاه تكرمة ، ولم يزل متغلبا على المغرب الاوسط بتيهرت ووهران الى سنـة 350 خمسـين

(99) ابن خلدون ج 4 ص 95 .
(100) ابن خلدون ج 7 ص 55 .
(101) ابن باجية الاباضية بالجريد ص 122 .
(102) الكامل ج 8 ص 499 .

وثلاثمائة وفد على المعز فهلك بالقيروان . وقد نيف على المائة من السنين ، لكن وان كان بينهم وبين المعز هدنة فان الحرب مع صنهاجة على السلطة لم تهدأ (103) . وكانت الحرب بينهم متواصلة فاضطروا الى مفاوضة أمراء الاندلس فأجاز محمد ابن الخير البحر الى المنصور بن أبى عامر صريخا فخرج المنصور فى عساكره وعقد لجعفر بن على على حرب بلكين وأجازه البحر وأمده بمائة حمل من المال واجتمعت اليه ملوك زناتة وأطل عليهم بلقين فرأى ما لا قبل له به فارتحل عنهم (104) .

كيف كانت افريقيا بعد موت أبى يزيد

تواصلت الثورة الى سنة 342 كما تقدم فبدا الاستقرار وأنشأ الاباضية فى مواطنهم امارات صغيرة منفصلة كما فعلت صنهاجة وتهادنوا مع العبيديين فكانت بنى برزال وسبالات بنواحى مسيلة وتداولت على تيهرت مغراوة وبنو خزر واسترجع بنو مدرار دولتهم بسجلماسة وأنشأت هوارة (دولة بنى الخطاب) بزويلة جنوب ليبيا ، واستقلت نفوسة وكانت دولة (بنى دمر) بالجنوب التونسى ، ثم كانت لهم دولة فى الاندلس زمان ملوك الطوائف عاصمتها استيجه كما كانت لبنى برزال كذلك عاصمتها قرمونية ولى رسالة فيها كانت (امارة بنى كملان) من بنى يفرن بأوراس وحافظت مغراوة على الدولة التى أسسها أبو يزيد بوارجلان والحديث على هذا كله

(103) ابن خلدون ج 7 ص 555 .

(104) ابن خلدون ج 7 ص 59 ـ 60 .

يخرج بنا عن موضوعنا ولا يكفى فيه الاختصار . وبثبيت الاباضية تتحكم فى أمورها وتسيرها حسب نظمها وهدأت الحرب بينهم وبين العبيديين الا ما كان من (ثورة أبى نوح سعيد بن زنغيل) وأبى خزر (يغلى بن زلتاف) وسأخص لها دراسة خاصة ان شاء الله . وما قيل من أن الخراب قضى على الاباضية بموت أبى يزيد ليس بصحيح . ان الخراب نالهم عندما اجتاحت افريقيا جحافل الهلاليين كما هو مشهور ، ثم استرجعوا قوتهم ووحدتهم أكثر مما كانوا عليه فى أى زمان (بالدولة الموحدية) فانها دولة خارجية اباضية ، وكان من أساطينها وممن كان له القسط الاكبر فى بسط نفوذها بالمغرب الاوسط السياسى المحنك والعالم الجليل الشيخ أبو يعقوب يوسف ابن ابراهيم السدراتى ومستشار أبى يعقوب المنصور الشيخ أبو يحيى زكرياء صالح اليراسانى (105)

وخرب بلدانها وفكك وحدتهم ابن غانية الميورقى الملعون وكل هذا يحتاج الى بسط كبير ودراسة وافية لا يتسع لها المقام .

الخلاصة فى ثورة أبى يزيد

ان ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد كانت دفاعا عن الاسلام ضد القرامطة كما أكد ذلك كثير من العلماء كما تقدم . ولكن كان من الطبيعى ككل الثورات فى العالم فكل من قام ضد أى حكومة ، ولم يتوصل الى ازالتها والقضاء عليها ،

(105) كتاب الطبقات للدرجينى ج 2 ص 502 سير الشماخى ص 449 .

فانها تسلط عليه سيلا جارفا من الاكاذيب ترميه بما لا يقبله المنطق ولا يصدقه العقل ولا بأس أن أورد ما ذكره ابن الاثير فى الجزء الثامن من كتابه الكامل طبع ببلرار بيروت للطباعة وكانت هذه الاكاذيب منحصرة فى عشرين أسطورة بدأها أن أبا يزيد عزم على الثورة ومعلوم أن مذهبه تكفير أهل الملة واستجابة الاموال والدماء. بربك أيها القارىء الكريم متى كان المذهب الاباضى يقول بتكفير أهل الملة واباحة الاموال والدماء من أين وجدوا هذا ؟ ثم قال بمجرد هبوطه من أوراس صار يغير ويحرق ويفسد . وقال : جاء الناس الى الجامع الاعظم بالاريس فقتلهم بعد أن أحرقها ونهبها وقال أنه عول على أخذ بلاد افريقيا واخرابها وقتل أهلها وقال : دخل باجة فأحرقها ونهبها وقتلوا الاطفال وأخذوا النساء وكتب الى القبائل يدعوهم الى نفسه فأتوه . انظر معى أيها القارىء كيف أن آخر هاته الاسطورة يكذب أولها ، كيف يأتوه مع أن اعماله التخريب . قال أن أهل تونس أرادوا أن يقتلوا عاملها ففر وكاتبوا أبا يزيد ليدخلوا تحت طاعته فأعطاهم الامان وقال أتاه كثير من أهل القيروان خوفا ورعبا فدخل البربر المدينة فأفسدوا وقتلوا . وقال أيضا بعث أبو يزيد أيوب الزويلى فنهب البلد وعمل عملا عظيما وخرج شيخ أهل القيروان الى أبى يزيد فطلبوا منه الامان فماطلهم وأصحابه يقتلون وينهبون ويغنمون ويعودون ، وقال وفى مدة حصار المهدية يبعث السرايا الى كل ناحية ينهبون ويغنمون ويعودون وأرسل سرية الى سوسة ففتحوها بالسيف قتلوا الرجال وسبوا النساء وأحرقوها وشقوا فروج النساء وبقروا البطون حتى لم يبق

في افريقيا موضوع معمور ولا سقف مرفوع ، وسار جميع من بقى الى القيروان حفاة عراة ، ومن تخلص من السبى مات جوعا وعطشا ، وقال عندما وقع الجوع بالمهدية بالحصار كثر خروج التجار والسواقة منها فكان البربر يأخذون من خرج يقتلونهم ويشقون بطونهم طلبا للذهب . وقال كان البربر يأتون الى أبى يزيد من كل ناحية ينهبون ويقتلون ويرجعون الى منازلهم حتى ما كان بافريقيا موضع لم ينهبوه ، وتوقفوا حينما لم يبق ما ينهبون . وقال عند حصاره المهدية أتاه خلق عظيم من افريقيا البربر ونفوسة والزاب ، وقال بعد أن ذكر الجوع كما تقدم قالوا الآن لما ترك أبو يزيد حصار المهدية خرج القائم فوجد الطعام والخيام وغير ذلك فحسنت أحوالهم واستراحوا من شدة الحصار ورخصت الاسعار . (عجيب والله أنهم بقولهم هذا أحبطوا كل ما بنوه من الاراجيف وقضوا على كل ما نسجوه من الاكاذيب) . وقال : ثار أهل سوسة على أبى يزيد فقبضوا على جماعته من أصحابه فأرسلوهم الى القائم فشكرهم على ذلك ، ولما اجتمعت العساكر الى أبى يزيد أرسل الجيوش الى البلاد وأمرهم بالقتل والسلب والسبى والنهب والخراب واحراق المنازل . فوصل العسكر الى تونس فنهبوا جميع ما فيها وسبوا النساء والاطفال وقتلوا الرجال وهدموا المساجد ونجا كثير الى البحر فغرق . وقال : هجم رجال من البربر فى الليل على رجل من أهل القيروان ، وأخذوا ماله وثلاثة بنات أبكار ، فلما أصبح الصباح واجتمع الناس لصلاة الصبح صاح وذكر ما حل به فاجتمع خلق عظيم ووصلوا الى أبى يزيد فأسمعوه كلاما غليظا فاعتذر اليهم

ولطف بهم وأمر برد البنات ، وقال لما انصرفوا من عند أبى يزيد وجدوا رجلا مقتولا فسألوا عنه فقيل أن الفضل ابن أبى يزيد قتله وأخذ امرأته وكانت امرأة جميلة فاجتمع أصحاب أبى يزيد فلاموه فاعتذر اليهم وترك السلب والنهب وقال انهزم أبو يزيد من سوسة فأراد أن يدخل القيروان فمنعه أهلها ورجعوا الى دار عاملها وأرادوا كسر الباب فنثر على رؤوسهم الدنانير فاشتغلوا عنه فخرج الى أبى يزيد وأخذ أبو يزيد امرأته وتبعه أصحابه بعيالاتهم .

تأمل معى أيها القارىء الكريم ما هذا التناقض ! منعوه من الدخول للقيروان مع أن عاملها موجود معناه أنها تحت حكمه ونفوذه فهلا أخرجوا العامل قبل ذلك، ثم أنهم لاجل الدراهم ترك العامل حرا فخرج ثم أن أبا يزيد أخذ امرأته وتبعه أصحابه بعيالاتهم معناه أنهم لم يمنعوه الدخول ، وأنه هو المسيطر على القيروان وهذا تناقض غريب لان من اختلق هذه الاكذوبة لم يتقن نسجها . وقال : أرسل أبو يزيد الى المنصور سائل أن يسلم اليه حرمه وعياله الذى خلفهم بالقيروان . (وقد سبق أنه أخذ عياله) تأمل . فان فعل دخل فى طاعته على أن يؤمنه هو وأصحابه وحلف له بأعظم الايمان فأجابه المنصور الى ما طلب وأحضر عياله وسيرهم اليه مكرمين بعد أن وصلهم وأحسن كسوتهم وأكرمهم ، فلما وصلوا اليه نكث جميع ما عقده ، وقال انما وجههم خوفا منى . (انظروا الى هذا التناقض الغريب فبينما يقول أنه أخذ عيالاته من القيروان وخرج يناقض نفس ما قال وزعم أنه اتفق مع المنصور على

أن يسلم له عياله وحرمه ففعل ونكث العهد ، وهذا لا يحتاج الى الرد فكذبه واضح مفضوح) .

أما ما تقدم من النهب والسلب فى القيروان وما ذكر من أنه نزل من أوراس أول مرة ، فشرع فى النهب والسلب فنتركه الى ما صرح به علماء القيروان ، وكذلك ما ذكر البعض من أن علماء القيروان اغتروا به لانهم لم يعرفوا مذهبه مع خطبة الجمعة التى كانت باملاء نيف وأربعين عالما من كبار علماء المالكية واتفاقهم على الدعوة الى نصرته يقولون فيها أن أبا يزيد اباضى والاباضية مسلمون يدافعون عن الاسلام وثورة أبى يزيد جهاد فى سبيل الله من الواجب الانضمام اليه ونصرته واحد الوية علماء المالكية يقود جيشا للجهاد مع أبى يزيد مكتوب فيه نصر من الله وفتح قريب على يد أبى يزيد وتأييد عبد الرحمن الناصر الاموى وهو المشهور بغيرته على الاسلام لابى يزيد وثورته والاستقبال الرائع الذى استقبل به فى كامل البلاد يفند هذه المزاعم والاكاذيب ، وقد أيد هذا ما ذكره قاضى القضاة عبد الجبار الهمذانى عن ثورة أبى يزيد فى كتابه تثبيت دلائل النبوءة وذكره كذلك الدباغ فى الجزء الثالث من كتاب معالم الايمان وأبو بكر المالكى القيروانى فى تاريخ القيروان (المخطوط بالمدينة المنورة) . وابن النديم فى الفهرست وابن عذارى فى كتابه البيان المغرب فى تاريخ المغرب ، ومن الاسف أن المؤرخ الكبير أبا العرب التميمى الذى رأس الوفد الذى بعثه أبو يزيد للامير الاموى الذى ألف كتابا فى التاريخ فى سبعة عشر جزءا ، ويتحدث عما شاهده . وكتابا آخر فى طبقات علماء افريقيا كما نص على ذلك صاحب

معالم الايمان ، وقلنا من الاسف أنها اتلفت حتى يبقى المجال لنشر الاراجيف والاكاذيب ، وأظن أن العاقل المنصف لا يحتاج لاكثر من هذا . والغريب أنهم أكثروا من القتل والسلب والنهب ، ولم يذكروا ولو اسما واحدا من غير جنود العبيديين مما يدل على أن ما ذكروه خيال لا وجود له ، والا فأنتم ترون أسماء العلماء والفقهاء وأئمة المساجد الذين قتلهم العبيدى ذكروا بأسمائهم ومن المستبعد جدا أن يذكروا أنه خرب عدة مساجد وقتل من فيها ، ولم يذكروا ولو اسما واحدا . وبقى لى أن أشير بلمحة صغيرة الى ما كتبه الاباضية أنفسهم عن ثورة أبى يزيد . ان الاباضية تحدثوا عن أبى يزيد قبل الثورة فذكروا أنه كان رفيقا أيام طلبه العلم لاحد كبار علماء الاباضية وهو الشيخ أبو الربيع سليمان بن زرقون ، وانه تخرج من أكبر مدرسة اباضية فى ذلك العصر ، وهى مدرسة سجلماسة لكنهم تنكروا به بعد قيامه بالثورة بشىء لا اعتبار له لمن أمعن النظر فى القضية ، وذلك أنهم قالوا انه من النكار ، وقضية النكار مسألة محلية بنت ساعتها ، ماتت فى المهد ، وكانت قبل ثورة أبى يزيد بحوالى قرن ونصف ، وما تمسكهم بهذه القضية الا وقاية لانفسهم عن التهم ، ولم يتناول البحث عنه الا بعد ثلاثة قرون من بعد ثورته ، اما لانهم ألفوا فيه فاتلفت مؤلفاتهم فيه كغيرها كما هو معروف ، أو خشية اتهامهم بالتواطؤ معه ويتعرضون للانتقام من العبيديين ، هذا من ناحية الابتعاد عنه بصفته من (النكار) . وأما ما نسبوا اليه من القتل والسلب فهو نقل بعض عبارات غيرهم بنصها ويعبرون عنها بقيل كذا وكذا

الخ ... فهلا ذكروا ولو خلافا واحدا وقع بينهم ، اللهم الا ما ذكروه عن أبى القاسم وأبى خزر مع ولده الفضل . وظاهر عليها الاصطناع ، والا كيف كانت مدة حكمه ، وهو خمس سنين فى انسجام حتى مات فظهر نوع من الابتعاد عن ولده . ألا يدل هذا دلالة واضحة على أنهم يريدون الابتعاد عن التهمة ، وضرورى أن يقوموا بهذا والا كانت التهمة موجهة اليهم ؟! وبالجملة فكل من لم يكن فى افريقيا فى ذلك الوقت الا ويكتب عن أبى يزيد وأولاده خيرا ، وقد تقدم بعض العلماء ومن جملتهم ما ذكره ابن خلدون بعد ذكر ما وهب الله لزناتة من جماع الخير وآثرهم الله به من مذاهب الكمال وجمع لهم من متفرق خواص الانسان ، فكان من مشاهير حملة العلم فيهم سعيد بن واصول جد بنى مدرار ملوك سجلماسة أدرك التابعين وأخذ عن عكرمة ، وكان منهم أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرينى الخارج على الشيعة أخذ العلم بتوزر ورأس فى الفتيا وقرأ مذهب الاباضية من الخوارج وصدق فيه وهو من الشهرة فى هذا الجيل لا يغفل (106) . يقول ابن خلدون عند الحديث عن انساب البربر أن من نسابتهم أيوب بن أبى يزيد (107) . قال ابن خلدون نقل ابن حزم نسب البربر عن يوسف الوراق عن أيوب ابن أبى يزيد (108) . قال ابن حزم ذكر يوسف الوراق نسب البربر نقلا عن أيوب بن أبى يزيد مخلد بن كيداد (109) .

(106) ابن خلدون ج 6 ص 210 .
(107) ابن خلدون ج 6 ص 186 .
(108) ابن خلدون ج 7 ص 176 .
(109) جمهرة أنساب العرب ص 495 .

خـــاتـمـــة

أختم بحثي هذا الذى حملنى عبئا ثقيلا فى البحث عـن الحقائق التاريخية واستخلاصها مـن التزيفات الباطلة التى تراكمت عليها والاكاذيب التى أفرغها عليهـا دعـاة الدولة العبيدية لاخفاء ما قاموا به من الدعوة للفكر وشتم الصحابة رضى اللـه عنهم والفتك بالعلماء الذين رفضوا الدخول فى مذهبهم الباطنى ، واعتمد فى هذه الخاتمة على الفصل القيم الذى كتبه صديقى الحميم الاخ الدكتور احسان عباس أستاذ الجامعة الامريكية ببيروت ، ونشرته مجلة الاصالة فى عددها الصادر بتاريخ جانفى 1977 رقم 41 تحت عنوان مصادر ثورة أبى يزيد ، وقـد قسم تلك المصادر الى ثلاثة أقسام المصادر الاسماعيلية والمصادر السنية والمصـادر الاباضية ، وأنـا أقسمها الى قسمين فقط . المصادر الاسماعلية والمصادر الغير الاسماعلية سواء منها السنية والاباضية ، فالمصدر الاسماعلى يكيل لابى يزيد جميع الشتائم وينسب اليـه جميع المخازى ولا يعد له ولو حسنة واحدة ، والمصادر السنية والاباضية تأتى بالحقائق التاريخية ، وكلها محاسن لان الجميع شـارك معه فى جهاده ، ثم تنقل عن الاسماعلية بعض الاكاذيب فى دائرة محدودة تقية اذ لا يمكن بحال من الاحوال أن يصدق عاقل أن ينضم اليه علماء المالكية بالقيروان ويمكنوه بجيش عرمرم من شبابهم . لو أتى بأقل قليل مما نسب اليه . وايضاحا للحقيقة وتثبيتا لما تقدم ، أنقل ما كتبه صاحب التحقيقات التاريخية د. احسان عباس نقلا عن مصادر سنية واباضية ،

فانها وان نقلت عن مصادر العبيديين بعض ترهاتهم . اما تزلفا أو فتنة لانهم تحت حكمهم فانهم لم يغفلوا عن الحقائق وأنبذ كل ما جاء فى المصادر العبيدية . فكلها شتم مفذع لابى يزيد ظلما . وأنقل كمثال لذلك ما كتبه د. احسان عباس عن القاضى النعمان بن محمد المتوفى سنة 363 مـا نصه (110) . يقول دون تردد أنه أخطر مصدر تناول شخصية أبى يزيد وثورته لانه طبع بطابعه أكثر المصادر التى جاءت ، ورسخ ما شاء أن يرسخ من معلومات حول تلك الثورة وصاحبها ، فهو الذى أخضع حركة التاريخ للرؤيا التنبوئية حين زعم أن المهدى كان يعرف بعلم سابق أن اللعين الدجال سيعلن الثورة ومن أجل ذلك بنى المهدية وملاها بالطعام ومن أجل ذلك لـم يعبأ القائم بمقاومة أبى يزيد لانه كان يعلم أين يبلـغ فى ثورته (111) . وهذا المصدر هو الذى حدد المبادىء التى كان يدين بها أبو يزيد واظفى عليه من استباحة القتل ما يقـف المرء مترددا فى تقبله ، بل هو الذى نسب حتى الى صاحبه أبى عمار انكار ذلك عليه بشدة . وأغرب من ذلك أنه نسب اليه من استباحة الفروج من القصص التى انحدر بعضها الى المصادر التالية ما يسلبه كل حصافة فى النظرة السياسية لدى الاولياء والاعداء على السواء ويجعله أقل الناس فهما للعادات والتقاليد ولا ريب أن هذا المصدر حين يلح على هذه الناحية يفضح خطة متعمدة للتشويه متعمدا ناحية شديدة الحساسية

(110) الاصالة ص 27 .

(111) غريب أن يقول هذا مع أنه جميع المؤرخين يقولون أنه مات غما وكمدا من أجل أبى يزيد .

عند العرب والبربر فى تهجين أبى يزيد ، ومما يقوى الشك فى نوايا هذا المصدر اشارته الدائمة الى أصحاب أبى يزيد باسم البربر مع اننا نعلم أن أكثر الملتفين حول الدولة العبيدية من كتامة وصنهاجة وهم أيضا من البربر ويعد هذا المصدر مرجعا هاما للصورة الادبية التى واكبت ثورة أبى يزيد . ولكن اذا أمعن الدارس النظر وجد أن هذا المصدر قد أهمل أمورا هامة منها أنه لم يعن كثيرا بايراد وصف دقيق عن أولية أبى يزيد ونشأته ودراسته وصلته بمصر والاماكن المقدسة والخطوات التمهيدية التى أدت الى الثورة ومنها اغفاله الحديث متعمدا على ما يبدو عن الدور الذى قام به فقهاء المالكية بالقيروان فى ثورة أبى يزيد . ومما يوضح التناقضات التى يقع فيها هذا المصدر ما حكاه عن دور (خليل بن اسحاق) أو (خليل بن عدنان) فهو يختلق المعاذير لتصرفات خليل ، ثم لا يلبث أن ينسى ذلك كله فيحمله الائمة فيما وقع فى القيروان ، ولما كان خليل من أكبر أنصار الفاطميين فان تناقض فعله مع ما كان ينتظر منه أوقع المؤلف فى شىء غير قليل من التردد ازاء اذاعته النهائية . ويجىء كتاب تثبيت دلائل النبوءة للقاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى المتوفى 415 ، فكتاب القاضى ليس مصدرا تاريخيا بالمعنى الدقيق ، ولكنه يكشف عن تفسير خاص للثورة وشخصية صاحبها . فأبو يزيد امرؤ ضعيف فى حاجة الى حمار لانه يعجز عن ركوب فرس ، وقد اتبعه الناس لانه أزال الظلم والمكوس عنهم والقائم لم يكف عن محاربة أبى يزيد ، لانه كان يعلم أين سيبلغ وحتى يبدأ نجمه فى انحدار وانما

لان القائم عرض له وسواس وزال عقله مما نزل به من الذل وما انصرف الناس عن أبى يزيد الا أن المنصور ضمن لهم تغيير سيرة أبيه وجده والا يتعرض للديانات كما أنه أخذ يتألفهم بأعمالهم ، أما فى بادىء الامر فان الناس التفوا حول أبى يزيد وهم يعلمون أنه نكارى لانهم قالوا : « هذا وان كان من الشراة فليس ينكر الربوبية ، ولا يكذب الرسل ، ولا يلعن الانبياء ومعه حفظ الاموال » . وقد انفرد القاضى عبد الجبار بين جميع من أرخوا تلك الثورة بتفسيره الخاص لبعض مظاهرها وتقلبات الاحوال فيها .

وبينما كانت المؤلفات المشرقية السنية المبكرة تنتحى منحنى جدليا بتأثير من ابن رزام ، كانت المؤلفات المغربية القريبة نسبيا من عصر تلك الثورة تخضع بدرجات متفاوتة لوقوع مؤلفيها فى حيز الدولة الفاطمية أو المؤثرات الفاطمية وللمصادر الفاطمية المبكرة .

ان الرقيق عاش جانبا من حياته حين كانت افريقيا ما تزال تعترف بالنفوذ العبيدى ، ولهذا ليس ما يمنع أن تكون مادة التاريخ التى كتبها المؤلفون الاسماعليون مقبولة لديه بقوة ، ويبدو أن الرقيق انفرد أيضا بذكر أمور لم ترد فى المصادر الاسماعلية وحين يصرح ابن عذارى بالنقل عن الرقيق نجد هذا المؤلف ينفرد بذكر تسمية جديدة لابى يزيد وهى « شيخ المؤمنين » . ويأتى كتاب « رياض النفوس » للمالكى تكميلا للنقص المتعمد فى كتاب القاضى النعمان اذ أبرز المالكى وعنه القاضى عياض فى كتابه « ترتيب المدارك »

الدور الكبير الذى قام به علماء المالكية القيروانيون فى تأييد ثورة أبى يزيد بالخروج معه وحث الناس على الانضمام اليه واصدار الفتاوى بذلك وبين الفتوى التى أصدرها المسى وهى فتوى نموذجية ، وما استنتجه القاضى عبد الجبار يشبه قوى يوحى بأن عبد الجبار صاغ فحواها بأسلوبه الخاص اذ يقول المسى : ان الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم اسم الاسلام ... وبنو عبيد ليسوا كذلك لانهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين . ويقوى المالكى من الدواعى التى هيأت لاعلان الثورة على بنى عبيد حين يعدد الكبائر التى ارتكبوها ، وألوان التعذيب التى أنزلوها بعلماء المالكية . ولا ريب فى أننا هنا ازاء موقف مذهبى تطغى فيه الاتهامات ، وهو يمثل نقصا مباشرا للمصادر الشيعية ، ولكن هذا اللون من المصادر السنية لا تعنيه شخصية أبى يزيد أو ثورته الا بمقدار ما كانت تمثله من انقاذ مأمول للمذهب المالكى أو للسنة من سيطرة العقائد الاسماعلية. اذ نجد عند ابن سعدون تفصيلات دقيقة عن الرايات التى حملها فقهاء القيروان حين انضموا الى أبى يزيد شبيهة بالتى ذكرها المالكى ، كما أن ابن سعدون عد من انضم للثورة من الفقهاء والعباد رجلا رجلا. وتدل الخلاصة التى أوردها ابن عذارى نقلا عن كتاب ابن سعدون « تعزية أهل القيروان لما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب الازمان » . على أن موقف ابن سعدون من العبيديين لا يختلف كثيرا عن موقف ابن رزام أو الباقلانى . وانه كان يكن عداءا شديدا لهذا المذهب وعصبية مشوبة بالحزن على ما أصاب بلده . وبسبب الصلة بين ثورة أبى يزيد والخلافة الاموية فى الاندلس

يمكن أن يعد كتاب « المقتبس » لابن حيان من المصادر الهامة عن باب من تلك الثورة ، أعنى جانب البعوث والسفارات التى وفدت على الخليفة عبد الرحمن الناصر من لدن أبى يزيد تطلب الامداد . ولكن ما ورد فى « عيون الاخبار » يدل على النقص اذ يصرح هنالك أن الناصر أرسل لابى يزيد مددا مع أيوب ابنه كما أمر فى مرة أخرى محمد بن رماحس عامل بجاية بالابحار فى اسطول فيه عسكر كثيف وملاح لمعونة أبى يزيد وتشير بعض الروايات الى أن أبا يزيد دعا الناصر منذ بداية ظهوره ، فمن المستبعد أن يهمله عبد الرحمن ويتركه بدون مدد .

وحين نبلغ ان حماد أو (ابن حماده) صاحب كتاب «القبس» نقف عند حلقة هامة فى سلسلة المؤرخين السنيين الذين كانوا ما يزالون ينظرون الى ثورة أبى يزيد والى الخلافة الفاطمية نظرة مقارنة وموازنة ، فأبو يزيد عند هذا المؤرخ عقوبة من الله للشيعة الذين أمروا بسب الغار وصاحبه وافترضوا القتل والتعذيب . لما كان أبو يزيد (نكاريا) أى منشقا على الاباضية فليس من المنتظر أن يعامله مؤرخو الاباضية بتسامح كثير أو يعتبروه « مجاهدا » قام لمحو الباطل ، ولعل أبا زكريا الاباضى (أواخر القرن السادس) أميل الى صف الفاطميين منه الى جانب أبى يزيد . فهو يقترن عنده بفرعون ، بل أن أبا يزيد اقترف من أعمال العنف والكفر ما فاق به فرعون مما يروى عنه ، ومن أشد المصادر الاسماعلية عداوة لابى يزيد ، ثم هو المقابل يتقبل الرواية التى تتردد على علم المهدى بالغيب

وأنه كان يعرف بخروج بربرى عليه . ومن أجل ذلك بنـــى المهدية ، ولدى أبى زكريا معلومات لم توردها المصادر الاخرى عن أولية أبى يزيد ونشأته ، ولكن ميل المؤلف الى الاساطير يجعل الدارس مترددا فى حمل رواياته على محمل القبول . وخاصة فى أخباره من مرحلة المد فى انتصارات أبى يزيد ، كما أنـــه يردد عـــن « فحولة » أبى يـــزيد قصصا ... كالتى أوردها المصدر الاسماعيلى ، ولعل معظم المـــادة التى أوردها أبو زكريا هـــو مجموعة الحكايات التى ظـــل يتناقلها الناس البسطاء فى مجالس سمرهم وأن لـــون التاريخ أصبـــح فيها بـــاهتـــا .

مما تقدم نرى أن المصادر عن أبى يزيد وثورته مرت فى ثلاث مراحل .

1) مرحلة القضية : تصارع قضية أخـــرى ، وفى هـــذه المرحلة استطاعت المصادر الفاطمية أن تؤكد بالسبق الزمنى كل ما تريد أن تصم بـــه أبا يزيد وثورته ، ووضعت حـــول كثير من الحقائق الموضوعية ستارا كثيفا من الدخان . دخان العداوة المذهبية لم يستطع أحد اختراقه .

2) مرحلة القضية المضادة . وقد تولتها مصادر سنية لكنها فى الوقت نفسه لم تستطع أن تتعاطف مع شخصية أبى يزيد وقد أدى بها ذلك الى تقبل كثير من التهم التى رددتها مصادر المرحلة الاولى ، وشاركتها فى ذلك المصادر الاباضية .

3) مرحلة النقل المحض : واذا استثنينا ابن عذارى الذى مال الى النقل عن مصادر أخرى مـــن المرحلة المضادة وجدنا

أغلب المؤرخين والجغرافيين قد لجأوا الى نقل روايات مؤرخى المـــرحلة الاولى مبـــاشرة أو بالواسطـــة وباستثناء القـــاضى عبد الجبار وهو يتجنب الدخول فى التفصيلات لا نجد أحدا يحاول أن يرى ثورة أبى يزيد من زاوية ايجابية . وعلى هذا ظل أكثر ما عرف من تفصيلات عن هذه الثورة يمثل ما يريده التاريخ الرسمى ، لا صورة ما جرى فى الواقع . وأخيرا أنقل ما كتبه المؤرخ الاستاذ عبد الرحمن الجيلالى الذى لم ينقل ، ولم يكن كخاطب ليل ، انما نقل مـــا هـــو أقرب الى الواقع ، متجنبا الدعاية المغرضة التى كان الغاية منها تشويه الحقائق قال : **ثورة أبى يزيد الخارجى .**

كان أبو يزيد الخارجى هذا رجلا مشهورا بالتقشف يركب الحمار ويلبس الخشن من الصوف متسما بالسنة آخذا نفسه بالحسبة يأمر بالمعروف وينهى عـــن المنكر ، ويعلم الصبيان القرآن ويؤدبهم ، واسمه أبو يزيد مخلد بن كيداد المشتهر بصاحب الحمار ومذهبه النكارية مـــن فرق الخوارج متعصبا لمذهبه النكارية وهو من أهل جبل أوراس ، ففى سنة 332 هـ 943 م بايعه أهل الجبـــل على الثورة فى وجـــه الشيعة وتلقب بشيخ المؤمنين وعمره يومئذ ستون سنة ، فخرج معه الكثـــير من الخوارج من زناتة ، ومشيخة المالكية أيضا وكلهم يدعو الى مبايعة الخليفة عبد الرحمن الناصرى الاموى صاحب قرطبة وذلك توصلا منهم نبـــذ الدعوة الشيعية وتحرير البلاد مـــن سلطة العبيديين . خرج أبو يزيد من أوراس على رأس هذه الجموع ناشرا ألويته الصفراء فاحتل من بلاد الجزائر مدينة (تبسة ومجانة وبجايـــة) ، وغالب مـــدن القطر الجزائرى

طبنة وبسكرة وباغاية وكاد لهيب الفتنة يعم الاوراس لولا أن قتل الفضل غدرا في شهر ذى القعدة من سنته ، ماى ، جوان وقتل أخوه أيوب بعده 341 هـ ــ 952 م ، وزحف بعدها يزيد الى باغايا فانهزم عنها ولم يخمد أوزار الثورة بأوراس الى أن جهز لها الخليفة رئيس صنهاجة بلكين بن زيرى الصنهاجى فقضى على الثائرين هنالك .

الشرقية وحاصر قسنطينة وبلغ فى سيره الى القيروان ، ثم الى تونس فاحتلها وحاصر المهدية دار ملك العبيديين ثمانية عشر شهرا حتى كاد الخليفة المنصور العبيدى وهو يومئذ أن يغتم ويبأس لولا أنه عجل بالحيلة فى التخلص بنفسه منها فذهب الى بسكرة ثم الى مقره من بلاد الزاب الجزائرى ، ومن هناك كاتب رئيس صنهاجة زيرى بن مناد مستنجدا به على أبى يزيد وأهدى اليه في ذلك أموالا كثيرة وحللا وتحفا نفيسة. كما استعان أيضا بصاحب مسيلة على بن حمدون فلبى كل منهما دعوة المنصور وخرجت الجحافل وأحاطت بأبى يزيد وهو يومئذ محاصرا للمهدية فأخرج عنها فى صفر سنة 334 هـ سبتمبر 945 م ، وفى أثناء ذلك نهض شاب بجبل أوراس متزعما حركة أخرى ضد الشيعة أيضا فقبض عليه صاحب المسيلة وجاء به مصفدا الى الامير فأسى بعمله معه وصلبه أينما حل وارتحل فكان يظهره للناس مصلوبا ارهابا لهم وظل أبو يزيد ينتقل به فى العواصم والبلاد الجزائرية والخليفة المنصور فى أثره .

قبض المنصور على أبى يزيد مثخنا بالجراح بجبل معديدا أو المعاضيد كما هو معروف به اليوم بشمال الحضنة فى محرم سنة 336 هـ جويليت 947 م ، فأمر الخليفة باسعافه فغلب عليه ونزف الدم فمات يوم الخميس لليلة بقيت فى المحرم فمثل الخصماء بجثته وعبثوا بها ، ويومئذ نهض أبناء أبى يزيد الثلاثة : الفضل ، وأيوب ، ويزيد ، فى قومهم مناديـن باستمرار الثورة فى العبيديين والمطالبة بدم أبيهم فانتشبت الحرب من جديد وتقدم الفضل على رأس جيوشه فحاصر

المصـــــادر

البيان المغرب فى أخبار المغرب ج 2,1	**ابن عذارى المراكشى**
طبقات المشائخ ، ج 1	**أبو العباس أحمد الدرجينى**
تاريخ كتاب العبر ، ج 4	**العلامة عبد الرحمن ابن خلدون**
جمهرة أنساب العرب	**أبو محمد على بن أحمد بن حزم**
آثار البلاد وأخبار العباد	**القزوينى زكريا بن محمد**
الصراع المذهبى بافريقيا	**عبد العزيز المجدوب**
الوسائل الكبرى لابن تيمية	**شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية**
العرب فى صقلية	**د٠ احسان عباس**
تاريخ الجزائر ، ج 2	**مبارك بن محمد الميلى**
الاستقصاء ، ج 1	**أبو العباس الناصرى**
المغرب عبر التاريخ	**ابراهيم حركات**
الفهـرست	**ابن النديـــم**
المغرب العربى ، ج 2	**رابـح بونـــار**
ورقات عن الحضارة العربية	**حسن حسنى عبد الوهاب**
اتعظـا الحنفـا	**تقى الدين أحمد المقويزى**
الخلاصة النقية	**محمد الباجى المسعودى**

المختصر فى أخبار البشر ، ج 2	**عماد الدين أبو الفدا**
التنبيه والاشراف	**أبو الحسن على المسعودى**
الكامل فى التاريخ . ج 8	**ابو الحسن على بن الاثير**
الاباضية بالجزائر	**صالـح باجيـة**
تاريخ الدولة الفاطمية	**دكتور حسن ابراهيم**
وفيات الاعيان ، ، ج 1 ـ 2	**القاضى بن خلكان**
رحلـة التيجان	**عبد الله التجانى**
رقم الحلل فى نظم الدول	**لسان الدين بن الخطيب**
المؤنس فى أخبار افريقيا وتونس	**عبد الله محمد بن أبى خيار**
معجـم البلدان . ج 3	**ياقـوت الحمـوى**
المغرب فى ذكر افريقيا والمغرب	**أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى**
الاسلام والخلاصة	**د٠ على حسنى الخربوطى**
المختصر فى أخبار البشر	**اسماعيـل أبو الفـداء**

الفهـــــرس

مقدمة : للدكتور عمر خليفة النامى	7
بين يدى القارىء : للدكتور عبد الحليم عويس	17
تقـديـم	21
ثورة أبى يزيد جهاد لاعلاء كلمة الله	23
التعريف بأبى يزيد	23
نشـأته	24
عزمه على الثـورة	27
ثورة أبى يزيد جهاد لنصرة الاسلام	29
أصل العبيدى ونسبـه	30
المقالة فى أصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها	40
ذكر ما كان من القداح وعقبة لعنه الله	41
قتل أبى عبد الله وأخيه أبى العباس وأبى زاكى	43
اظهار العبيدين الكفر وارغام الناس عليه	46

قيام أبى يزيد بثورته العارمة 54

العلماء الذين نفروا مع أبى يزيد من المالكية 56

أبو يزيد مخلد بن كيداد . جهاده وبخاصة فى تأسيس دولة اباضية بعد بنى رستم 59

اتصال ابى يزيد بأمراء الاندلس 74

صلته بالناصر الاموى متواصلة 75

أبو يزيد يؤسس دولة اباضية بعد انتصاراته 76

بالمكر والخداع توصل أبو طاهر للفتك بأبى يزيد 78

موت أبى يزيد مخلد بن كيداد 84

فضل ابن أبى يزيد واخوه أيوب يواصلان الجهاد بعد موت أبيهم 85

دولة أبى يزيد لم تنته بموته ولا بموت ابنائه 87

كيف كانت افريقيا بعد موت أبى يزيد 88

الخلاصة فى ثورة أبى يزيد 89

خاتمة 96

المصادر 107

دار البعث
قسنطينة ـ الجزائر
1402 هـ ـ 1981 م